

مصطفى محمود



# من أميريكيا إلى النشاط طيء الآخر



دار المعارف

مكتبة

# مكتبة أمية في تاريخ الإسلام

# أمريكا.. أمريكا

الناشر : دار المعارف - ١٩٩٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.





توتر . . انتظار . . لحظة . . فضول . . ماذا حدث ؟

برقية من مركز المراقبة الفضائي يعلن عن إصلاح العطب في كاميرات السفينة . . ويقول إن السفينة الآن تركت زحل بسلام وهي ترتحل في الفضاء بسرعة خمسين ألف كيلومتر / ساعة في طريقها إلى الكوكب العظيم أورانوس لتصل إليه بعد خمس سنوات . . ثم بعد ثلاث سنوات أخرى إلى نبتون . .

مؤتمرات علمية لدراسة الشفرات اللاسلكية التي أرسلتها الفوياجر من زحل . .

عقول إلكترونية متخصصة تعيد تركيب الشفرة وتحوّلها إلى صور ملونة . .

حلقات زحل المضبوطة ليست عشرات بل مئات . . وهي عبارة عن حصوات ثلجية معلقة . . آلاف الملايين من هذه الحصوات المختلفة الأحجام والأشكال تدور في أحزمة متباعدة يمكن أن تتخللها السفينة الفضائية أثناء سيرها دون أن تصاب بسوء . . وليست كل هذه الحلقات مستديرة . . وإنما بعضها بيضاوي . . وبعضها يدور صاعداً هابطاً في مدار حلزوني . . وبعضها يلتف مع الحلقات المجاورة في صفائف . . وبعضها غير كامل وتتخلله الفجوات في مناطق . . الغاز . . وهناك خير أعجب . . أحداقمار زحل ( هيبرون ) يدور

بالقلوب . . والتفسير مجهول . . بعض العلماء يقول إن هذا القمر تلقى ضربة على رأسه من قمر آخر منذ مائة مليون سنة قبلت وضعه في الفضاء . . ومنذ هذا الحين وهو يدور في هذا الوضع العجيب . . مناقشات حول سطح زحل . . وهل هو غازي أو سائل أو صلب . . وعن جو زحل وغازاته . . وعن درجة حرارة الكوكب ومجاله المغناطيسي . .

علماء الفضاء أمام الكاميرات التليفزيونية في مناقشات جادة بقطعها بين حين وآخر إعلان عن بنطلونات الجينز . .

المناقشات مستمرة . . ومازال زحل لغزاً . . والمعلومات الجديدة حولت السؤال إلى ألف سؤال . .

العلماء يواصلون البحث عن أسرار زحل . .

وبفضل الطبيب وبوليصة التأمين وجوب منع الحمل والأدوات  
الكهربائية التي تقوم بالكس والغسل والطهور - نجد الزوجة في حالة  
صحة جيدة وفراغ قاتل . تخمق في المسلمات الجنسية في  
التلفزيون . والزوج تمتد حياته إلى أرذل العمر . . والعلاقة الزوجية  
تتحول إلى شيء فاتر محل لا يطاق . والزوجة تفتح على نفسها مشاكل  
لا حل لها .

الجمعة - نيويورك - ٢٨ أغسطس :

في حديث تلفيزوني حول المرأة ومشاكلها . قالت المتحدثة في  
صراحة عجيبة إن إحدى مشكلات المرأة حينما تتقدم في السن أنها  
تزداد رغبة في الجنس . وتصل رغبتها إلى الذروة بعد الستين . ولكن  
للأسف في مثل تلك السن لا تجد المرأة من يقبل عليها من الرجال .  
فالزوج انتهى من زمان . وأقرانها في السن من الرجال يفضلون بنات  
ال ١٦ . ويجب الرجل معلقاً على ملاحظتها أن أمثال هذه المشاكل لم  
تكن تثار في الماضي . لأن العلاقات الزوجية لم تكن تنحط  
الأربعين . فالزوج كان في العادة يموت بالسكتة في البورصة . أو كان  
يموت مقتولا في حقول تكساس . أو كان يموت بالحمى أو الوباء أو  
الحمر الرديئة . وكان يترك في عنق زوجته جيشاً من الأطفال يشغلها  
عن أي شيء آخر يمكن أن تفكر فيه . ولكن الآن - لسوء الحظ

وتدهش كيف اجتمع كل هذا العلم مع الخرافة . وكيف اجتمع  
في وقت واحد أحدث ما ابتكرته أذهان العصر من علوم الذرة  
والكهرباء والقضاء والإلكترونيات مع الشعوذة والسحر والأشباح  
والتنجيم والفنجان والكف .

والصبر والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء

والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء

والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء

والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء

والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء

والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء

والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء  
والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء والهدوء

السبت - نيويورك - ٢٩ أغسطس :  
الشارع هنا يشبه شريط فيلم يدور بسرعة . . وبرغم الحرارة  
الشديدة والرطوبة العالية فالكل يجرى . وإيقاع الحياة يهول . . وكل  
واحد ينهب الطريق ليلحق بشيء . . . . . واليوم هنا يحتوى مجموع نشاط  
شهر بخطوتنا الهينة اللينة البطيئة . . . . . والبنائات الجديدة تشق طريقها إلى  
السماء لتنتطح السحاب في أيام معدودة . . . . . والميكنة والتكنولوجيا  
والكمبيوتر والأضرار توجه كل شيء . . . . . والشركات الصناعية الخاصة  
تبني المدارس وترصف الطرق وتشيئ المستشفيات وتبنى السكك  
الحديدية وتضع خطوط المترو على حسابها . . . . . ولكنك بعد هذا تقف  
مذهولا في « الأسانسير » الصاعد إلى الدور المائة فلا تجد الرقم ١٣ .  
لأن صاحب ناطحة السحاب يتشاءم من رقم ١٣ . لهذا ترك نخانة الـ  
١٣ خالية .



ومن قبل ذلك بساعات كنت في السيرك أشاهد قروود الشمبانزى  
المدربة ، تركب البسكليتات وتجرى بقباقيب الانزلاق . . . وكنت أرى  
السباع والنمور المقترسة تلحق خد مدربيها في خضوع .  
وعجبت أشد العجب للإنسان الذى ساد مملكة الحيوان كلها  
وأخضعها لأمره وإشارته . كيف لم يستطع أن يخضع الحيوان  
بدخله ؟؟

إنه لا شك يستطيع بدليل ما أرى أمامي . . .  
ولكنه هذه المرة لا يريد . . . فقد اختار أن يترك حيوانه الخاص  
على سجيته ليلعب معه لعبة اللذة . . .  
اختار أن يتركه على حريته ليقاسمه هذه المصلحة العاجلة .  
والإنسان المكبر يفعل ذلك تجبث ويدعى أنه ضعيف وأن حيوانيته  
غلبته .

ولكنه يكذب ليبرر لنفسه ما يخلتس من الذات . . .  
وما أجرأه على الكذب ذلك الذى مشى على القمر وارتحل إلى  
النجوم . وأخضع وحوش الغاب حينما يدعى أنه لا يستطيع أن يحكم  
الوحش بدخله . . .  
والإنسان المكبر يكذب ليبرر لنفسه ما يخلتس من الذات . . .  
وما أجرأه على الكذب ذلك الذى مشى على القمر وارتحل إلى  
النجوم . وأخضع وحوش الغاب حينما يدعى أنه لا يستطيع أن يحكم  
الوحش بدخله . . .

ومن قبل ذلك بساعات كنت في السيرك أشاهد قروود الشمبانزى  
المدربة ، تركب البسكليتات وتجرى بقباقيب الانزلاق . . . وكنت أرى  
السباع والنمور المقترسة تلحق خد مدربيها في خضوع .  
وعجبت أشد العجب للإنسان الذى ساد مملكة الحيوان كلها  
وأخضعها لأمره وإشارته . كيف لم يستطع أن يخضع الحيوان  
بدخله ؟؟

### ورلاندو - الأحد - ٣٠ أغسطس

سهول فلوريدا الخضراء ذات الجو الدافئ والأمسيات الرطبة .  
الخضرة على مدى البصر . . . والسماء زرقاء صافية . . . والنسيم كغلاظة  
من حريو . . .  
حظن الطبيعة رائع . . .  
تمنيت أن أنام في هذا الحظن وأنسى كل شيء . . .  
هنا أجمل متحف حي لعالم البحار . . . مبنى كامل منفرد لسمك  
القرش . . . ومبنى آخر للحياتان . . . ومبنى ثالث لسباع البحر وكلاب  
البحر وأفيال البحر . . . مع تجهيزات كاملة للعروض السينمائية المجسمة .  
شاهدت مسرحية ضاحكة لزواج أحد سباع البحر . . .  
المرح شاطئ بحيرة صناعية والمدرّب يحرك سباع البحر بمهارة  
مذهلة .





المجموعة المتحضرة . . . وحققنا من ذلك قليل وحظهم كبير . . .  
وأؤكد أقول إن أصدق تعريف للحضارة هو القدرة على التفاهم  
بين المختلفين . . . والقدرة على تجاوز التناقضات في المواقف والآراء  
والأمزجة وتغليب الإنسانية والحكمة . . . وإنما تأتي حكاية التقدم العلمي  
والتكنولوجي كنتيجة لهذه الصفة صفة تغليب الحكمة والفكر . . .  
ولقد تقدموا في العلم والتكنولوجيا بسبب هذه الصفة وليس  
العكس . . . ولكنني شديد التفاؤل . . . وأقول لنفسي . . . لقد اكتسب  
أمريكا هذه الصفة بعد حروب تاريخية طويلة حارب فيها بعضهم بعضاً  
مثلنا . . . وعبروا إلى شاطئ الأمان بعد أن خاضوا أنهار الدم . . .  
ولعلنا نمر الآن مثلهم بهذه المرحلة التي مروا بها ونحوص مثلهم أنهار  
الدم . . . إن التاريخ يعيد نفسه دائماً ولا شيء يكتسب بدون ثمن . . . إلى  
متفائل . . . وقد نستطيع أن نختصر التاريخ ونوفر الدم إذا استبصرنا العواقب  
واستفدنا من العبرة . . . وواجهنا أنفسنا بالأمانة اللازمة . . . ولم تعلق  
أنفسنا بالشعارات والملصقات القديمة المستهلكة أمثال بلاد الخواجات  
بلاد الكفر . . . الحضارة الأوربية أفلست . . . ليس عندهم سوى  
الانحلال والمخدرات . . .

بمثل هذا الكلام نخدر أنفسنا وننسى أنهم مشوا على القمر وفجروا  
الذرة . . . وزرعوا الأجنة في الأنابيب وعبروا الفضاء . . . وما كانت هذه  
الناطحات التي تنطح السحاب إلا رمزاً لهذه الروح الإيجابية التي تعشق  
اقتحام المخاطر . . .  
إن هذه الروح التي حاولت أن تتأطع السماء هي نفسها التي عبرت  
الفضاء . . . وهي نفسها التي حاولت أن تثقب الأرض لتثقب عن  
البترول . . . وهي نفسها التي حفرت النجم . . . وهي نفسها التي غاصت في  
البحر وغرقت البر وفجرت الذرة وانطلقت إلى المريخ . . .  
هذه الروح النشطة المغامرة الناهضة بهمة للعلم والعمل  
والاكتشاف والتجديد هي الوجه الجدير بالإعجاب من الشخصية  
الأمريكية . . .  
وإذا ذكر العنف فأمريكا ليست أول من يتصدر العالم في العنف  
وإنما إيطاليا أولى بالذكر . . . وهي عاصمة المافيا والعنف بحق . . .  
وأقول إيطاليا لأن إيطاليا بلد صغير ليس فيه خمسون ولاية . . .  
وليس فيه سود وبيض . . . وليس فيه تعدد أديان ولا تعدد أجناس يفسر  
أنهار الدم التي تسيل في الشوارع كل يوم . . . ويفسر القنابل التي تنفجر  
في الكبير والصغير . . . ولا تفسير للعنف هناك سوى العنف نفسه . . .  
العنف النفسي الذي يتصاعد في النفوس على شكل جماعات وتنظيمات

وأحزاب وألوية حمراء وسوداء وبغين ويسار . . .  
وهو عنف بلا عائد . . .

عنف لا يقابله أى صورة من صور الصحة الاجتماعية . . .  
وبالمثل ما يجرى فى لبنان . . . وما يجرى فى أمريكا اللاتينية . . .  
وما يجرى فى الدويلات الإفريقية الحديثة الاستقلال . . .  
وإذا لاحظنا أن فى أمريكا أكبر تجمعات إسلامية . . . وإذا لاحظنا  
أن الدعوة الإسلامية ناشطة وفاعلة من خلال الندوات والمطبوعات  
والكتب . . .

وإذا ذكرنا أن الإنتاج الناشط فى الزراعة يعطى فائضا من القمح  
يطعم أمريكا وروسيا معا والإنتاج الصناعى المتطور يغطى العالم كله . . .  
فإن الصورة الشائعة بأن أمريكا هى الجريمة والكفر والمخدرات . . . هى  
أبعد ما تكون عن الحقيقة . . . فأمريكا أيضا هى العلم والعمل والفن  
والاختراع . . . وأمريكا هى المناخ الحر الذى يرتفع فيه الخير والشر معا . . .  
بل ينمو فيه أى شئ قابل للنمو . . . فإذا بحثت عن المجرمين تجدهم  
وإذا بحثت عن أهل الخير والصالح والدين تجدهم . . . بل تجد أكثر  
من ذلك . . . تجد جماعات من المتعصبين ومن دعاة التطهر الدينى ومن  
الغلاة المتطرفين من المسيحيين والمسلمين . . . كما تجد الوجوديين  
والانحلاليين والرافضيين . . . كما تجد غرائب الملل والنحل من أمثال

دعاة الثايرايوجا وأتباع الصمدى ( يوجا هندی جديد يدعو إلى  
الاستمتاع ) . . . كما تجد رهبان العلم العظمين على دراساتهم  
ومعاملهم . . . كما تجد أهل المذات العاكفين على لذاتهم . . .

لكن الجوانب الإيجابية ما زالت غالبة على الجوانب السلبية فى  
الصورة العامة . . . والأمريكى العادى إنسان ودود عاقل متفتح بسيط  
حب للخير . . . وهو يفكر بطريقة دينية برغم الحياة المفرقة فى المادية التى  
يعيشها . . . ولكنه يقدس حرمة الشخصية ويضعها فوق كل اعتبار . . .  
ولا ينافس النشاط الأمريكى إلا النشاط اليابانى . . .

إنك ترى النشاط اليابانى فى شوارع نيويورك ترى طوابير  
السيارات اليابانية الفارهة ترحم المرور ويتسابق إلى شرائها الأمريكيون  
وترى اللغة اليابانية على المحلات والمكاتب . . . وترى السواح اليابان  
وترى الوفود والخبراء . . . والعلم والإنتاج اليابانى فى الإلكترونيات  
والساعات والكاميرات يزاحم الإنتاج الأمريكى فى الفترينات ويقدم  
الأحسن والأرخص . . . وقد بدأت اليابان هذه النهضة من الصفر . . . من دمار كامل . . .  
وهذا يعطينا مثالا على أن التقدم التكنولوجى ليس لغزا . . . وأن  
التخلف ليس قدرا علينا . . . وأن العمل والنشاط يستطيع أن يعبر بنا  
الفجوة فى لآزمان . . .

وإذا خاطبت الواحد منهم يقول لك إنه يشعر أنه لو بارح المكان  
سيفقد روحه . وهي كلمات بسيطة ولكنها تعنى الكثير .  
وإذا أمكن أن يكون للمكان روح ففي هذا الخور بالفعل . حيث  
تشعر ببصمات ألفي مليون عام في لقطة واحدة فيما يشبه الصدمة التي  
يقف لها شعر الرأس . . وكأنما تحول الزمن إلى عمل رائع من أعمال  
النحت المذهل .

وتصفع وجهك الرياح الباردة الثلجية فتضيق لتعود إلى حيث يقف  
نسائق ليأخذك إلى القرن العشرين . ثم إلى المستقبل الذي لا يعلم أحد  
كيف يكون .

الأثنين ٧ سبتمبر سنة ١٩٨١ جراند كانيون :

جراند كانيون أو « الخور العظيم » هو فلق أرضي أو انشقاق بعمق  
سبعة آلاف قدم ، وعرض عشرة أميال . وبطول عدة كيلومترات .  
حفرت مياه نهر الكلورادو وفعل الزلازل وتفجرات البراكين منذ أكثر  
من ألفي مليون سنة . وهو مسرح بكر لفعل الطبيعة وعوامل النحات  
والتعرية والتآكل . نحفظ به أمريكا على بكارته ليكون متحفاً  
جيولوجياً يقصده السواح من كل أنحاء الأرض . . . . . وعدسات  
الكاميرا لا تستطيع أن تحيط به في صورة واحدة ولا في عدة صور .  
وكذلك العين البشرية إذا نظرت من زاوية واحدة . . . ولا بد أن تصعد  
في طائرة لترى من الجو هذا الأثر العجيب لتشعر بضخامته .  
وفي عمق الخور تعيش بعض قبائل الهنود الحمر في أكواخ ولا ترح  
مكائنها برغم قسوة ظروف الحياة وتعاقب الحر والبرد والزمهرير .



لا . . . إنه ليس مجرد المكسب . فإنه يستطيع أن يكسب بالعمل  
سريع . . . وسوف يستمر يقامر حتى لو استمر يخسر .

إن اللذة ليست النقود .  
ولكن اللذة هي مباشرة الحظ والمكسب والمغيب .  
اللذة هي مساواة القدر .

والوجه المحجوب من الكارت هو القدر .  
واللذة هي تلك الرجفة التي تهز كيان المقامر لحظة أن يمد يده  
ليكتسب الكارت . فهو ليس مجرد كارت . ولكنه القدر بعينه .  
وهو في حالة مباشرة مستمرة للقدر .  
وهو يتصور أنه يستطيع أن يملك قدره .  
وهذا الزعم هو اللذة القاهرة التي تستبد بالمقامر حتى تقضى عليه .  
وهي لذة أشد فهداً واستبداداً من لذة الجنس والمخدر .  
وهي تنمو بالمزاولة حتى تصبح عادة لا فكاك منها إلا بالموت أو  
الانتحار . والنصيحة الوحيدة أن تغلق الباب الذي يدخل منه الريح .  
لا تضع قدمك في لاس فيجاس إذا أردت السلامة . . فالحسنة  
تبدأ عادة بربع دولار .

الثلاثاء ٨ سبتمبر سنة ١٩٨١ لاس فيجاس :

عاصمة القمار الثانية في العالم . . ديانتها الدولار . وآفتها الخمر  
والنساء وهول النكا والديسكو .

منذ أن تضع قدمك في المطار نسمع جلبة النقود في ماكينات  
الحظ الإلكترونية . اللعب واكسب . .

وفي الكازينات الضخمة حول موائد الروليت والباكاراه تجري  
عدة ملايين كل ساعة زمان بين الأيدي المرتعشة . وتنعقد حلقات  
الدخان وتلمع الماسات والسوليترات في الأصابع وعلى الصدور  
العارية . وتبرق العيون في تلهف في انتظار اللحظة التي تقف فيها عجلة  
الروليت .

وتسأل نفسك أي لذة يشعر بها ذلك الرجل الذي يلقي بكل  
ما يملك على المائدة .

اليوم ويك إندي . الأغاني كلها تتحدث عن الحب أفيشات الأفلام  
كلها حب .

أدريت مؤشر الترانزستور الصغير فسمعت صوت الحب على جميع  
المحطات . . وسمعت في الإعلانات .

تعددت على الحشيش ونظرت في استرخاء إلى كل شيء .  
سألت نفسي ماذا أريد . . هل أطلب الحب أنا الآخر .  
لقد وجدت الحب . كنت دائماً أجده . ولكني لم أجده الرحمة .  
والذي يحب لا يرحم

الحب بما فيه من رغبة وشهوة وامتلاك لا يرحم .  
ثم هو بعد كل ذلك لا يدوم . . وتلك غاية القسوة .  
وفي المدن الكبيرة المزدحمة التي تعج بالملايين يتبادل الناس الحب  
والمصالح والمنافع . ولكن لا أحد يرحم أحداً .

في هذا العالم المادي الذي يتدافع بالاكثاف والمناكب في سبيل  
اللحمة لا وقت للرحمة . . ليس هذا فقط حال نيويورك أو شيكاغو .  
بل هو أيضاً الحال في القاهرة ولندن وباريس وروما وكل المدن  
الكبرى . . وكل الحضارة المادية التي نعيشها .

ولكن المشكلة تزداد حدة كلما ازداد التقدم المادي وكلما ازداد  
عدد الأزرار والكمبيوتر والأتوميش والميزر والتحكم الإلكتروني .

لوس أنجلوس - الأربعاء ٩ سبتمبر ١٩٨١ :

كاليفورنيا المبهجة . الشاطئ الآخر من القارة على مياه الباسيفيك  
عند أقصى الغرب حيث منتصف الليل هناك هو رابعة النهار هنا في  
القاهرة .

على بعد كيلو مترات قليلة بلاج ميامي . وعلى مسافة دقائق عالم  
الخيال في ديزني لاند . حيث قصص ألف ليلة . وسندريلا وحواديت  
الجن والسحرة . تراها مصورة بحدة في عالم من الدمى الإلكترونية  
البديعة .

الحر شديد . والرطوبة عالية . . وحوه من كل الجنسيات عملاً  
الشوارع والحدائق . . سود وبيض وحمرو وصفر . عبق مختلط من كل  
أنواع البارفان يداعب الحشيش مع صوت أغاني الديسكو الذي  
يتصاعد من عربات السندويتش .

بقدر ما تغزو الآلة بقدر ما يتراجع العامل الإنساني ويتضاءل الفرد ويتعاظم شأن المؤسسات والماكينات .

وهذا هو الوجه القاسي من الحياة الشرفية الحديثة .

الحياة تتدافع وتهول . . ومعدلات التغير السريع تقفز كل يوم . كل يوم يأتي ومعه اختراعات جديدة وأخطار جديدة واحتمالات مفرقة وإيقاع الحوادث يتابع ملتبهاً لدرجة لا نستطيع معها أن تتبأ ماذا يكون الغد . . وكل هذا بشكل ضغطاً عصبياً على المواطن . والنتيجة توتر نفسي عام .

والتوتر هو سمّة الشارع والبيت في أمريكا وأوروبا والعالم المتمدن كله .

وهذا يلجأ الأمريكي العادي إلى الكأس . . ويلجأ الشباب إلى المخدر والماريجوانا والكوكايين .

وفي إحصائية أخيرة بين جنود البحرية الأمريكيين يقول التقرير إن ٤٩,٥٪ أي حوالي نصف المجندين مدمنون خمور أو مخدرات أو الاثنين - وبين طلبة المدارس أكثر من عشرين في المائة يتعاطون الخمر أو المخدرات . والإحصائية مفرقة ويمكن أن تؤدي إلى مضاعفات هائلة في المستقبل .

وإذا لم تلجأ الحكومة إلى سن قوانين صارمة وراذعة لوقف هذه

خوذة لدمرة من المخدرات . فالبيئة الاجتماعية مهددة . والعصب الاجتماعي يتآكل شيئاً فشيئاً تحت هذا المظهر اليراق الخلاب من التقدم .

وأحياناً لا بد أن نصادر الحرية لنحمي الحرية . ولكنهم هنا يفزعون من أي شيء باسم الحرية . ويقولون إن أمريكا هي الحرية . . وإن الحرية هي التي صنعت العلم والرخاء والتكنولوجيا والتقدم وهذا صحيح .

ولكن حرية صانع الكوكايين والهيروين سوف تهدم هذا كله . . ولئن بقي لأحد حرية ، إنه الخير الذي يلد الشر . إن الحرية أنجبت نسلًا من الملائكة . ولكنها أنجبت أيضًا نسلًا من الشياطين العظام . إنها قد أنجبت البنائين الذين بنوا أمريكا ولكنها اليوم تحجب المخربين الذين يعملون على هدم هذا البناء من القواعد

وكم أحب الخير الشر . كذلك نرى أحياناً أن الشر قد ينجب خيراً . فقد سقطت قنبلة هيروشيما الذرية على اليابان وكانت شرًا مطلقاً . ولكنها ما لبثت أن أنجبت السلام . وحررت المهارة اليابانية من اقتصاد الحرب المنهك . وأطلقت طاقات التحدي والإبداع . . وفي سنوات قليلة تحولت الأمة اليابانية الفقيرة المغلوبة فأصبحت سيده الأمم



في الإنتاج والاقتصاد والثراء . ودخلت الصناعة اليابانية على أمريكا  
عقر دارها .

وتلك مهزلة الأضداد التي تلد بعضها بعضاً .  
ومن يقرأ التاريخ لا يدخل اليأس إلى قلبه أبداً وسوف يرى الدنيا  
أياماً يداوطها الله بين الناس الأغنياء يصبحون فقراء . والفقراء يتقلبون  
أغنياء . وضعفاء أمس أقوياء اليوم وحكام أمس مشردو اليوم .  
والقضاة منهمون . والغالبون مغلوبون . والفلك دوار والحياة لا تقف .  
والحوادث لا تكف عن الجريان . والناس يتبادلون الكراسي ،  
ولا حزن يستمر . ولا فرح يدوم .  
ترى هل يعلم قضاة أمريكا هذه الطبيعة الجدلية للحوادث ، لو  
علموها حقاً لعلقوا صناع الكوكابين والهيروين على أعواد المشايق  
ولضربوا بالحربة عرض الحائط .

كاب كانفرال . الجمعة ١١ سبتمبر ١٩٨١ :

منصة إطلاق الصواريخ إلى القمر والكواكب .  
مكوك الفضائي جاثم في مكانه على المنصة في انتظار أمر الإطلاق  
بعد أيام .  
١٧ مليون رطل وزن المكوك والزاحفة الحديدية التي حملته إلى  
منصة الإطلاق .

ووزن الزاحفة وحدها ٦ ملايين رطل .  
ووزن المكوك ١١ مليون رطل . أشبه بعمارة متعددة الأدوار  
تقذف إلى الفضاء الخارجي في دقائق . لتندفع بعد ذلك بسرعة ٢٢  
ألف كيلومتر ساعة .

عسر من أعمال العسكرة البشرية .  
وقفت أنامل هذا المارد الإلكتروني المعتقل بكلايات من حديد .

والذى ينتظر لحظة الانفلات من قبضة الجاذبية .

وقلت لنفسى . . هذا هو شرف أمريكا الحقيقى .

العلم والتكنولوجيا والمال والصناعة .

وروح المغامرة والاندفاع الإيجابي نحو الجديد .

والرغبة فى اكتشاف المجهول .

وتذكرت ما كان يتصايح به البعض عند هبوط أول إنسان على

أرض القمر .

أما كان الأولى أن تنفق هذه الألوف من ملايين الدولارات على

البطون الجائعة التى لا تجد لقمة الخبز .

وكانت مثل هذه التعليقات تتردد فى أمريكا ذاتها

وكانت المظاهرات تجوب الشوارع تطالب بالكف عن الإنفاق على

هذا الترف العلمى .

ولكنه لم يكن ترفاً . بل كان أشرف ما انفرد به الإنسان على كل

المخلائق . . الرغبة فى اكتشاف المجهول . بل كان الروح ذاتها الطامحة

نحو المعرفة .

أما ألوف الملايين من الدولارات فناء العالم ينفقن أضعافها كل

عام على العطور وأدوات التزيين . وأحمر الشفاه وطلاء الأظافر .

ولا أحد يعترض .

ونظرت إلى المارد المكيلى أمامى فى انتظار لحظة الانفلات من

قيوده . . وقلت فى نفسى . . لا . . إنه لم يكن ترفاً ما أنفق من مال . .

ويعتقد أضعافه فلن يكون ترفاً . . فقد بذل العلماء العظام أرواحهم

من قبل فى سبيل خطوة واحدة نحو الحقيقة . . بل فى سبيل حرف

واحد جديد يضاف إلى كتاب المعرفة . وليس بعد الروح شىء . يبدل .

## السبت ١٢ سبتمبر سنة ١٩٨١ في الطائرة إلى واشنطن :

فوق السحاب على ارتفاع خمسين ألف قدم . أشاهد فيلما سينمائيًا في الطائرة .

الذى يعرف المرأة الأمريكية من الأفلام لا يعرفها مطلقًا . فالأفلام الأمريكية تعطى فكرة مغلوطة عن النساء في أمريكا . إن النساء في أمريكا لسن مارلين مونرو . . . ولسن بطلات الإغراء اللالى نراهن يتفنن في الفوابة على الشاشة .

المرأة الأمريكية إنسانة جادة واقعية . لها استقلال الرجل وحرية ، وهي تكسب حياتها بعرق جبينها مثله . . . وهي تزامنله في كل مراحل الدراسة وتنافس في جميع أعماله .

والمرأة في أمريكا أقوى شخصية من الرجل وأكثر منه صبرًا وتحملًا ، وأبعد نظرًا وأصدق فراسة . . . وتجدد في مقاعد الرئاسة في

كثير من مناصب الحكومية والحرية وتجددنا باهضة بجميع الأعمال . والمائة سنة للقاعدة في أمريكا ستكون عصر المرأة وليس عصر الرجل . . . وربما يكون هذا هو حال العالم أيضًا . ألم نشهد مسز تاتشر في إنجلترا . وماريا دى لورديس في البرتغال . وسيمون فيل في البرلمان الأوربي . وأنديرا غاندى في الهند . ونيريزا حاملة لجائزة نوبل ؟ إن الركب يسير . ولكن الثمن ندفعه كلنا فادحًا . فالمرأة والرجل في الشارع وفي المصنع والمكتب والشركة . والأطفال في دور الحضانة . ولا يجد الرجل ولا تجد المرأة الوقت لتربي طفلها . الروابط الأسرية تضعف . والطفل المحروم من الأمومة والأبوة يبدأ يفكر لنفسه منذ السنوات الأولى . ويتعود أن يواجه كل شيء منفردًا . وهكذا تنمو الروح الفردية على حساب التماسك الاجتماعى والذابط الأسرى . ولا أدري ماذا يمكن أن يكون الأثر لتفكك هذه الروح بعد سنوات

ما هو شكل المستقبل ؟ لا أدري على وجه التفصيل . . . ولكن لن يكون الأثر الحضارى إيجابيًا بل سلبيًا . وتفكك الأسرة مثل تفكك الذرة بطلق أشعة وطاقة في البداية . . . ثم بعد ذلك يكون الفناء . واجتمع الأمريكى بحبويته يحاول أن يعوض هذا التفكك الأسرى عن طريق مؤسسات الضمان الاجتماعى والجماعات الخيرية التى تتولى



الصدقة والإحسان وحضانة الأطفال وتربية الأيتام - وعن طريق البرامج الدينية المتطورة والتوعية الدينية التي تخصص لها ساعات طويلة من البث التلفزيوني .

والجماعات الدينية طرف آخر له صوت وضغط على الرأي العام الأمريكي من خلال المطبوعات والمنشورات والندوات الإذاعية والتلفزيونية

والأمريكي العادي يستجيب لدافع الخير وللخوف الدينية برغم الحياة المادية التي يعيشها

ولكن هل يستطيع هذا النشاط الاجتماعي والديني أن يعالج التفكك الأسري الموجود ؟ هذا سؤال لن يجيب عنه إلا المستقبل  
لقد رأينا مظاهرات نسائية في ألمانيا تطالب بترك العمل والعودة إلى البيت . . . وسمعنا عن زوجات في ألمانيا يشترطن على الزواج إعفاءهن من العمل المتفرغ للبيت .

هل هو وعي نسائي جديد سوف يغير اتجاه التاريخ ويعود بالمرأة من جديد إلى مملكتها الأولى أو هي مجرد صيحات . . . وتقاليع ؟  
أشك في عودة المرأة إلى البيت بعد أن ذاق طعم الحرية والاستقلال . وبعد أن تربعت على كراسي الحكم وجريت السلطة .

ومাত্রاه في أمريكا نراه في كل مكان من العالم المتمدين .  
إن تيار الحرية العارم جرف المرأة إلى الشارع ولن يعود بها . ونحن مقبلون على عصر جديد هو عصر المرأة . وسوف تكون امرأة أخرى مختلفة عن أمهاتنا . ولن أتعجل الحوادث وسوف أترك التاريخ يكمل نصه

الأحد ٢٠ سبتمبر - أثينا . طريق العودة

فارق مائة سنة بين شكل المدينة في بلد كاثينا . وشكل المدينة في بلد كنيوبورك . وفارق مائتي سنة في العلم والخبرة . وفارق ألف سنة في أجهزة القوة وعضلات التقدم .

وبعد قرن آخر من الزمان ، إذا ظلت أفريقيا على حالها من التأخر ستصبح المسافة بينها وبين أمريكا كالمسافة بين الإنسان والقرد . لقد أثبت العلم في القرن الأخير أنه يستطيع أن يغير البيئة تمامًا . ويستطيع أن يقلب موازين القوى . ويستطيع أن يحدث ثورة في الإنتاج ويستطيع أن يقود ويغير . وليس أمام أي بلد طموح بمحاولة أن يلحق بركب العصر سوى أن يركب قطار العلم فوراً ودون تأجيل . لكن العلم وحده لن يكفي . بل هناك شيء آخر هام . هو الحرية . فالحرية سوف تخلق المناخ لإقراز المواهب . وسوف تعطي

تفرصة لتصحيح الأخطاء . وحظ أمريكا من الحرية كبير . بل هو كبير من اللازم . فصانع الخير يجد فرصة . وصانع الكوكابين يجد فرصة . والقاتل يجد فرصة . والمص يجد عشرين فرصة . والشواذ جنسياً يجدون مائة فرصة . وتلك هي الثغرة الخطرة في نظام الحرية الأمريكي وهم يقولون في أمريكا إن الحرية لا تتجزأ .

وأنا لا أطلب بتجزئة الحرية . ولكني أطلب بصرامة العقاب . إنهم في روسيا يقطعون رقبة السارق . وفي السعودية يقطعون يده . وفي أمريكا يعرضونه على الطبيب النفسى الذى يكتب تقريراً بأنه مسكين . وبأنه لم ي تلق الحنان الكافى وأن أمه تزوجت غير أبيه . وأبوه تزوج غير أمه . ويقترح إعطائه معونة وشكولاتة وعلاجاً نفسياً . ولا أفهم أى معنى لهذا التدليل سوى حماية الفساد وتشجيعه . ولا أفهم من أولى بالنعطف . صانع الكوكابين الذى يدمر جيلاً بأسره أم الألف من ضحاياه من أطفال وأولاد المدارس ؟

إن الحرية حينما تعنى قلب موازين القيم سوف تلغى مبرر وجودها . فإن حرية صانع الكوكابين معناها استعباد الجيل كله في علال الخلد . وحرية الشواذ جنسياً معناها فتح الباب على مصراعيه لإفساد الطبيعة الإنسانية كلها .

أعتقد أنه لابد من نظرة تشريعية جديدة في نظم العقاب

الأمريكية . . فإن العلم والحرية لا يكفيان لضمان التقدم . بل هناك شرط ثالث لابد من توفره وهو القيم . . والقيم هي دعائم البنيان وبدونها ينهدم أى بنية مهما بلغ من القوة .

ولن تسلم القيم بدون حراس يسهرون عليها . لقد طرد الرئيس ريتشارد ١٧ ألف مراقب جوى بحرية قلم . وهو حزم ملحوظ وسريعة فى المبادرة .

ولكن هناك ظواهر متعددة فى المجتمع الأمريكى أولى بهذا الحزم وأولى بهذه الصرامة . مجرد ملاحظة من مسافر عابر .

وأفكار  
من الشاطئ الآخر



### الشيوعيون الجدد .. وكيف يعملون ؟

في الماضي .. في الأربعينات .. كان الشيوعي بطلا .. كان يشعر أنه يكافح من أجل قضية مقدسة .. كان يقول صادقا أو واهما .. نحن نقاوم ونعوث ونسجن في سبيل الجوع والمطحورين .. نحن حرب على الاستعمار في كل مكان .. نحن ثورة على المظلم والقهر والاستغلال ..

وكان الشباب الثائر ينظر إلى موسكو الكعبة .. وإلى لينين رسول لإنسانية .. وإلى ماركس صاحب الإنجيل البروليتاريا .. وكان الماركسي راهب عصره وقديس زمانه .. يمشي في هالة من الاحترام .. ويموت شهيدا تكتب فيه الأشعار والمراثي .. وتغنى فيه ملاحم وتسج حوله أساطير المجد والبطولة .. وكانت الاشتراكية أغنية .. والمادية الجدلية لاهوتا ، وجيفارا مسيح الوقت ..

ثم دار الزمن دورته وتغيرت المبادئ وافتضحت الأفكار وتمزقت  
أقنعة النظريات . . . وإذا بالشيوعي الفيتنامي يقتل الشيوعي  
الكهودي . . . وروسيا تقاتل الصين . . . والصين تغازل أمريكا . . .  
والاشتراكية تستبدل ظلمًا طبقيًا بظلم طبق آخر أكثر شراسة . وتريح  
طاغوت أفراد لتقيم طاغوت دولة . وتسجن مجتمعات بأسرها وراء  
القضبان .

وبالأمس القريب كان حليف إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر  
فرنسا الاشتراكية في عهد موليه الاشتراكي  
واليوم نرى روسيا تحتل أفغانستان ليس احتلالًا عقائديًا وليس  
احتلالًا اقتصاديًا وإنما احتلال عسكري . واستعمار سافر وفهر لشعب  
أعزل بالحديد والنار والقوة الفاشمة

لم تعد للشيوعي مثاليات يتغنى بها . ولم تترك له روسيا شرفًا بقاتل  
من أجله . ولم تبق له إلا عمالة سافرة لأبشع الأهداف . للمقهر والظلم  
والاستغلال . . . الذي كان يدعى أمام الناس أنه بخاريه .

لم يبق للشيوعيين إلا أن يكونوا عملاء استعمار لا أكثر .  
وجواسيس على بلادهم من أحرارًا على أهلهم وأوطانهم . ترى ماذا  
يقول جيفارا لوبيث حيا وتلفت حوله ينظر في وجوه رفاق الأمس  
كاستروا البلطجي ، ومونجستو السقاج . وإلى المبدأ الذي تحول إلى قتل

وقطع طريق . وسرقة شعوب ونهب أوطان . . . وماذا يقول عن الإخوة  
الأعداء الذين قتل بعضهم بعضًا في عدن . . . وماذا يقول عن الرفاق  
نور الدين تراقي وحفيظ الله أمين وباراك الذين أعدم بعضهم بعضًا  
بحساب المائدة في الكرملين .

وماذا يقول عن مناهة الأكاذيب التي اعتنقها وروج لها واستشهد  
في سبيلها ومات خادعًا مخدوعًا . وماذا يقول عن أسطورة البطل  
الخرافي التي نسجوها حوله . أراهن أنه يموت من جديد غمًا وكمدًا  
وعيقًا . إن الكل الآن بعيد النظر والعالم بعيد حساباته .

من كانت لهم الصدارة أصبحوا في آخر الصفوف . ومن كان لهم  
الحقد أصبحوا في أقباص الاتهام . والجحني عليهم أصبحوا جناة  
وقنعة . والعسكر أصبحوا حرامية . وكعبة موسكو أصبحت مغارة  
نصوص

والشيوعيون الجدد مزقوا شعاراتهم ولافتاتهم وأنكروا هويتهم من  
الخزي . وبدعوا يستعيرون هويات أخرى وراحوا يعملون تحت رايات  
أخرى .

إن التيار السائد الآن هو التيار الديني فليعمل الجميع تحت هذه  
الراية . الضرورة واستراتيجية المرحلة تحكم . تلك مبادئهم . .  
ولقد سمعنا الإرهاني الإيراني « فلاح الدين حبشي » يقول إن

حزب توده الشيوعي يعمل من داخل عبادة الخميني . بل هم يعملون من تحت جلده . وفي سن الثمانين يصبح العجوز طفلاً في عقلية بسب تصلب الشرايين . وما أسهل أن يصبح العزبة في أيدي من يعرف كيف يفوده ويؤثر فيه .

وهم هنا في الجامعة يعملون من وراء الشعارات الدينية ويدفعون بالشباب المتطرف الرافض إلى هوس ديني في محاولة ذكية مكررة للتخلص من النظام ومن الدين معاً . والوصول بالمجتمع إلى حالة من الفوضى تصبح فيها الشيوعية هي طرق النجاة الوحيد

هؤلاء هم أصحاب اللحي الجدد الذين يرفعون المصاحف على أسنة المطرقة والسندان . وينادون بالشرعية ليقطعوا بها بأي خصومهم ويصلون على محمد بظاهر السنن وعلى لينين بكور من قلوبهم . ويدفعون أمامهم بقطعان من الشباب الساذج ويقولون لهم اقتل . احرق . خرب . دمر . في سبيل الله . صبح القسايس في السيئات والمسارح والبنوك والمؤسسات . ارفع راية العصيان في كل مكان . . فنلك دولة الفسق وأنت المهدي المنتظر .

وما أكثر من يتدفع من الشباب ليموتوا في معركة ليست معركة فليكن الشباب على حذر من هذه اللغة المزدوجة . وليتذكر أن الدين

حب وسخاحة وتقوى وعمل صالح وبناء وتفان في الخير وتعاون على

وليتذكر أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن سفاحاً ولا قاتلاً ولا مخرباً . ولم يكن يشعل الحرائق . ولم يكن يغتال الآمنين . بل كان يد خضراء ولسان صدق وكلمة محبة .

أما هؤلاء الرافضون فهم الماركسيون الجدد في لباسهم التنكري خديعة بعد أن نعت مبادئهم وظهر فسادها حتى النخاع

## المؤامرة

ضحك الشيوعيون على أنفسهم وعلينا حينما ظننا أن الشيوعية حضارة جديدة تقوم على أنقاض الحضارة الأوربية الرأسمالية التي تصدع بنيانها . . . وصوروا لأنفسهم ولنا أنهم نبياء . ورسل هذه الحضارة الجديدة إلى العالم . . . والحقيقة أنهم يبيعون لنا نفس البضاعة القديمة تحت اسم جديد . . . فالرأسمالية والشيوعية إلا وجهان لعملة واحدة هي الحضارة المادية التي أنجبتها الوثنية الصناعية في بداية القرن التاسع عشر .

إن الوثنية الصناعية هي الحضارة الأم التي أنجبت النظام الرأسمالي كشكل اقتصادي . ثم النظام الشيوعي كشكل اقتصادي آخر يؤدي نفس الخدف . وليخدم نفس الغايات . وليخلق نفس العقلية عقليته إنسان كل همه واهتمامه إشباع حاجات اللحظة ( فيما يسموته بأسطورة

برخاء في النظامين ) والسيطرة على البيئة وسيادة الكون وتغيير التاريخ ( شعرت بتشدق بها الاثنان ) وامتلاك المال والأرض والمصنع في الرأسمالية . وامتلاك الرقاب الذي يمارسه الحزب الشيوعي ( نفس الشيء . وأسير ) . وأسطورة القوة المادية ( ممثلة في الغزو العسكري للرأسمالي وفي الغزو المذهبي الشيوعي الذي أسفر عن وجهه أخيراً فتحول إلى استثمار عسكري وغزو حرى صريح في المجر وتشيكوسلوفاكيا وأفغانستان والسلفادور ) .

نإن نفس هذه الوثنية المادية قد أنجبت الصليبية والصهيونية تقوم بنفس الدور تحت ستار الدين . . . الاستثمار العسكري والغزو تفكرى والسيطرة بالقوة على مقدرات وثروات الآخرين . . . بل إنها هي التي تمول وتشجع وتصدر لنا حركات من نفس النوع ظاهرها ديني وحقيقتها سياسية وأهدافها انقلابية مثل التكفير والهجرة في بلادنا . وحركة المهدي المسلحة في مكة وثورة الخميني في إيران ( وقد خطط الخميني لثورته وهو في حضارة فرنسا . ثم قام بها ونفذها تحت مظلة الحرية الأمريكية في إيران . إنها نفس لعبة الأمم التي تلهو بنا كما تهو بفضع الشطرنج ) وقد عادت هذه الأمم فضربت إيران بالعراق تكسيح الاثنين .

ومن العجيب أن ترى روسيا وأمريكا تعطيان السلاح للآخرين



وتحرصان على مد أجل الحرب بينهما كلما بدأت تفتت . نرى هذا بأعيننا ولا نفيق ولا نعتبر .

نحن أمام نمط فريد من المكر العالني يحاول أن يكرر بنا حتى باستخدام شعاراتنا . شعارات الدين والإسلام . فيشجعنا عليها بعد تزييفها . فهذه الأتباط الجديدة من الإسلام الثوري هي نفس الشعارات الوثنية بعد إعادة تعبئتها في عبوات إسلامية . إنها نفس الشعارات الاشتراكية التي تعرض الطبقات على بعضها . وتشدق بالرخاء وتشير أحلام السيطرة وتحرك العصبية . وتبيع الطائفية . وتولد الحزازات بين الملل . ولا تأخذ من الإسلام إلا الطغوس الشكينة والمظاهر .

إن جميع هذه الانحرافات هي نسخ متعددة مختلفة من أصل واحد . وإن تسمت أحياناً بالإسلام . وأحياناً بالصليبية وأحياناً بالصهيونية . وأحياناً بالراسمالية . وأحياناً بالشيوعية . إنها هي الوثنية الصناعية المادية التي تحاول أن تجعل من الإنسان عبداً للمكينات والمنتجات الترفيه . والفاترينة الاستهلاكية . عبداً لأوهام السيطرة وأحلام القوة . أسيراً لشهوات البطن والجنس وخادماً لرغبات اللحظة . وقوداً للحروب . مشغولاً بالتواقة والخسائس . متهاكماً

على جمع الخطاء المتناقض . مشتتاً بين الأوهام . ممزقاً بين العصبية والانحرافات حتى ينتهي عمره .

إنها جميعاً وجوه حضارة واحدة هي الحضارة الوثنية المادية . وهم قد اختاروا لنا سلفاً وأرادوا لنا وأرادوا بنا . وصنعوا لنا شعاراتنا الجاهزة . وصدروا هذه العبوات الفكرية والدينية المعلبة المزيفة . وخططوا لنا كل البدائل التي أرادونا أن نختارها . وفي النهاية طمسوا على صدورنا بالإعلام الموجه والغزو الفكري ومدفعية الكتب والصحف والإذاعات والتلفزيون لنظل في دوامة لا نفيق على حقيقتنا أبداً . وفي نظرهم أنه لا يجب أن يخرج تفكيرنا واختيارنا عن قنوات مرسومة . فنحن إما أن نخذو حذوهم النعل بالنعل . فننقسم إلى شيوعي ورأسمالي ويميني ويسار وننتقل فيما بيننا تحت رايات الرجعية والتقدمية الكاذبة . ونتلقى عنهم أولاً بأول علومهم ومخترعاتهم ونبدأ من حرف ال ( ا ) من حيث انتهوا هم إلى حرف ال ( ي ) . ونظل مقيدين إليهم في عربة السبسة وفي الأذيال . وإما أن نقبل البدائل المزيفة التي يروجونها بيننا باسم الحركات الإسلامية . والثورات الإسلامية . والجماعات الصليبية . ويشجعون عليها بالمال والتأييد والمساندة السياسية . وما هي من الإسلام أو المسيحية في شيء . بل هي نفس الشعارات الوثنية بطلاء إسلامي أو مسيحي . وهدفها



ولن يحفظ علينا حياتنا وقوتنا وطاقتنا سوى أن ننتمي وننتسب من البداية إلى الله خالقنا ونمثل لقانونه وشريعته ونلزم طريقه ونجعله همتنا ومقصدنا . . .

وذلك هو الفكر التوحيدي الذي يجمع شمل النفس . وشمل جميع الأنفس . وشمل جميع الأمم في مسيرة واحدة مباركة سبيلها العلم والعمل ومكارم الأخلاق تقرباً إلى الله باري كل شيء . . . وهي مسيرة لا تتعصب ولا ترفض ولا تحاصم . وإنما تقبل وترحب بكل مكتسبات الإنسانية عبر تاريخها . وتعمل على استثمارها وتنقيتها وتركيبها لتقدمها كما أرادها الله نورانية صافية . . . وهي مسيرة أبد . . . ومسيرة خلود .

وتلك هي حضارة أخرى مختلفة تماماً عن جميع الأشكال الموحدة للحضارة الوثنية الصناعية . . . وهي ليست أبداً ما نرى حولنا في ثورات إسلامية . . . أو حركات إسلامية حاقدة مسعورة . . . أو جماعات صنيوية تنشر الفرقة والعداوات الطائفية . . . فتلك وغيرها من انقلابات شيوعية . . . وجماعات اشتراكية . . . هي بعض ما يخطط لنا . وبعض ما يصنع لنا في الخارج من أفكار معلبة . ومؤتمرات مجبوكة . . . وهي جزء من خطط التعمية وطمس البصائر وإغراق المنطقة في ضباب

التضليل وفي ضوضاء الدعايات والشعارات المتصلة . . . حتى لا نفيق أبداً على ينابيع النور التي في أيديها . . .

فهل نفيق على حقيقتنا وهل نمسك بأول الخيط . . . وهل ندرك عمرنا الحقيقي بطول الأزل والأبد . . . وبعمق الخلود . . . وبامتداد الكون كله المرئي منه والخي . . . وهل ندرك نسبنا الشريف العظيم إلى الله بارتنا بحكم استمدادنا للروح منه ورجعتنا إليه . . . وهل ندرك معنى الآية القرآنية العظيمة . . .

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا كُنْتَ فَمَا لَاقِبَهُ )

هذا الجراز  
سوف يغير العالم



لندن . . الجمعة ٥ سبتمبر سنة ١٩٨٠:

اكتشفت آخر الليل أنى كنت جالسا طول اليوم أمام التليفزيون لم أفعل شيئا سوى الحلقه فى الشاشة الصغيرة التى ظلت تستدرجنى من برنامج إلى برنامج . من فيلم إلى رقصة . إلى أغنية إلى ندوة . إلى خبر . إلى استعراض . إلى سيفوفى . إلى ماتش . إلى مسرحية . إلى قصيدة حتى منتصف الليل وأنا فى سربرى معتقلا باختياري . . بل ربما أكثر قليلا من مجرد معتقل . فقد كنت طول الوقت معتقل الحركة أيضا معتقل الحواس . سجين الانتباه فى شاشة عرضها ٢٢ بوصة لا أستطيع منها فكاكها .

وحيثما كان السلام الملكى البريطانى يعزف لحن الختام كنت أ مسح عيني وأتساءل عن تأثير هذا الجهاز السحري العجيب الذى قلب جميع الموازين فالتليفزيون الخيد أصبح تأثيره الآن عكس تأثير الكتاب

الجيد . . . فالكتاب الجيد يحرر الإنسان الذي يقرأه . أما التليفزيون الجيد فيعتقل الإنسان الذي يشاهده . . . يعتقل جوارحه ويعتقل خيانه ويقيد يديه ورجليه .

وساءلت نفسي . . . ترى هل هذه هي المعتقلات الاختيارية الجديدة التي توضع فيها المجتمعات العصرية حيث يغسل عنهما بالأغاني والرقصات وأفلام العنف ومشاهد الجنس ، ثم تعبأ بالتوجيهات المطلوبة والدعايات المرغوبة .

وأى نوعية من الأجيال الجديدة يمكن أن تخرجها هذه الجامعات التليفزيونية الأمريكية . . . لا أظن أنها يمكن أن تخرج النوعية القديمة من الشباب الذي حارب وأقام إمبراطورية . . . ولا أظن أن الأجيال الجديدة في أوروبا يمكن أن تحارب بحماس من أجل أية قضية . . . فالشباب رخوا مرفه ، وهو بعد عمل مرهق طوال الأسبوع لا يفكر إلا في صحبة ممتعة وحضن دافئ وكأس منترعة يفرق فيها عطلة نهاية الأسبوع .

والشباب الجديد في أوروبا يعمل بنشاط ليكسب بوفرة وينفق بكثرة . وهذه هي العقلية المادية التي تسود العصر . . . لا تدع اللحظة تفوتك . . . خذ منها أقصى ما تعطيه من كسب ومنعة ولذة . . . عش أيامك قبل أن تمضي ولا تعود . . .

تلك هي فلسفة اليوم التي يعيش لها وبها الشباب . . . بعد المصنع التريز وعلب الليل والمراقص ومبازل الويك إندي . . . فلسفة ينشرها ويعززها ويروج لها جهاز خطير اسمه التليفزيون العصري .

جهاز خطير سوف يغير العالم كله . . . وسوف يجعل العهر على الشيوع والانحلال أمراً عادياً . واتباع افوى بداهة وطلب اللذة مشروعاً مثل بطاقة سكر الخمين .

وفي الجانب الشيوعي والاشتراكي من العالم حيث النظم شمولية ، والحزب الحاكم واحد ومنفرد بالسلطة ، نجد الحصار الإعلامي في التليفزيون بالغ الذروة في غسل الأبحاث وتفريغ العقول . وإعادة ملئها عنى هوى الحاكم . وعلى قوالب النظام . وتكاد البرامج كلها تمشي على حصور مرسومة لا تفلت منها كلمة .

على حين أننا في الجانب الديمقراطي الحر من العالم حيث تتعدد الأحزاب وتتعدد الآراء وتتعدد الصحف تظهر شواهد كثيرة لهذه الحرية في البرامج التليفزيونية . ويجد المشاهد أمامه أكثر من رأى يستمع إليه ويختار منه . . . وهو بذلك يفلت من السجن السياسي المضروب على العقول في النصف الشيوعي من العالم ، ولكنه يقع في سجن شهواته بما تثير فيه برامج العري والجنس من رغبات مستعرة تعطل عقله .

ونحن في الخالين أمام جهاز خطير له قدرة تشكيلية على العقول والأذهان . . . وهو مع التكرار والاستمرار سوف يخلق نوعاً من التعود على ألوان من البرامج الاستمتاعية يستحيل بعد ذلك تغييرها أو إيقافها . سوف تصبح أمام جمهور مثل طفل تعود على مصاصة أو لبانة إذا حاولت انتزاعها من فمه ارتفع عويله وصراجه

ولو وقف مصلح اجتماعي يطالب بإيقاف هذه البرامج اللاهية وتحويل البرامج التليفزيونية إلى نوع من الجامعة الشعبية وتحويل الإعلام الاستمتاعى إلى إعلام تربيوى . . . مثل هذا المصلح سوف يواجه بالطوب ومظاهرات الاحتجاج من الجمهور نفسه . جمهور الأغاني والقبلات والمسلسلات والرعب والدم والجنس والكورة . فشل هذه البرامج أصبحت الآن أفبنة ومصاصة ولبانة يضغطها المشاهد في فمها ولا يستمتع بسمومها وينام على تحذيرها ولم يعد من الممكن انتزاعها منه إلا باستخدام القوة القهرية . والقوة القهرية سوف تلقى بنا إلى سجن أسوأ هو الحصار الإعلامى الذى يشكو منه النصف الشيوعى من العالم . فنحن بين نارين والمأزق يسير نحو حارة مد

وهذا الجهاز السحري بسيله إلى إحداث تحولات في الوعي الإنسانى . متكون للأسف بالسلب وليس بالإيجاب .

ولن تكون أجيال التليفزيون القادمة أحسن بل أسوأ من أجيال ما قبل التليفزيون

ويضايف من الأثر النفسى للتليفزيون . . . أننا تلقى برامجه ونحن في الفراش في حالة استرخاء كامل أو في كراسى وثيرة بالبيجاما وحولنا الأطفال يشربون بعيونهم كل حركة وكل همسة . . . وهذه الحالة تجعل نفوس مفتوحة قابلة للتطبع بكل فكرة ترد عليها .

وقد بدأنا نشاهد الآن أطفالاً يرتكبون عمليات قتل وسطو . وطلبة الجامعة يؤلفون عصابات . ويعرض العالم كله تنتشر عمليات العنف والخطف واحتجاز الرهائن وتفجير القنابل . . . وفي المدن الكبرى في أوروبا لا تكاد نجد فتاة بعد السابعة عشرة محتفظة ببيكارتها .

وفي أمريكا يقول علماء النفس إن هذه نتائج طبيعية . فالشباب الأمريكى لا يبلغ الثامنة عشرة إلا ويكون قد شاهد أكثر من عشرة آلاف جريمة قتل واغتصاب وزنى وسرقة تمارس أمامه على شاشات التليفزيون . فأى غرابة بعد هذا فى أن يفقد الجسم العارى حرمة . وأن يفقد القانون هيئته . وأن تفقد الأعراف الخلقية سلطاتها .

إن العين تألف الانحلال والفساد فيصبح من كثرة عرضه أمامها شيئاً مألوفاً لا غرابة فيه . . . وتصبح القبلات والأحضان والمصافحة أشياء عادية مثل المصافحة .

إن ضغطة بطرف البتان على زرار أصبحت كفيلة باستحضار كل  
منتجات هذه المدنية العجيبة بعهرها وخلاعتها وقنفا وفكرها وعلمها  
وصلاحها وفسادها في لحظة .

وصحيح أن التليفزيون يعرض بالفعل قنونا رفيعة وأفكارا عالية  
وهو يقدم الدين والقيم والعظائم والعبر إلى جانب الجريمة والجنس  
والانحلال . . لكن الفساد يأق فيه مزوقا جذابا وهو يغازل النفس  
بمشتياتها ، ويرأودها في ضعفها وهو يقدم لها وعدا عاجلا فوريا  
باللذة . في حين يقدم الواعظ الديني وعدا مؤجلا ولا يجد معه  
مشهيات الفن وزخرفة الشعر والموسيقى والأغاني التي يجدر بها  
الحواس . . فالتلبث اللحظة الفاسدة أن تجرف أمامها كل المؤثرات  
الطيبة . . وينام المشاهدون كل ليلة على الجانب اللذيد المغري من  
المسألة .

نحن أمام جهاز خطير يدخل إلى المخادع وغرف النوم . وأمام برامج  
تصبح من فرط التكرار من قبيل المناهج السلوكية المقررة التي ينشرها  
الأطفال والشباب وتسرى في دمائهم مع الشاي والقهوة والسيجارة .  
وتتحول إلى عادات لا فكالك منها . . ثم تتحول إلى سلوك ثم تصبح  
طباعا وأنماطا وملامح عصر .

هل نحن أمام جهاز سيفير العالم . . ؟ ! ! قد يحيب البعض بأن

المشكلة قائمة حتى في البلاد التي شددت الرقابة على التليفزيون .  
ومعت إقامة دور السينما العامة . فرغم الحظر والرقابة والمنع ظهرت  
فيها مصيبة أخطر هي أشمطة الفيديو المثقلة والمهرية والأفلام الجنسية  
تعرضها الشلل والعائلات المحترمة في بيوتها الخاصة . وفيها من الغواية  
والإفساد والفحش أضعاف مائتي السينما المباحة . ومن وراء هذه  
الاشمطة المهرية تقوم نخارة عالمية منظمة ومكاتب مافيا جنسية  
متخصصة تعمل على شه وتسجيل وترويج هذه البضاعة المدمرة .  
وتدفع مبالغ مغرية للممثلات المشهورات في مقابل دقائق من اللقطات  
الجنسية الفاضحة لإثارة فضول المشتري واجتذابه للعصف سوف  
نحاسة الكترونية جديدة ضحاياها ملايين

وهكذا تتنوع صنوف الإغواء التي يتعرض لها المواطن . فمن ينجو  
من الإعلام الشيوعي اليساري يقع في حبال الإعلام الفاشي النازي .  
ومن ينجو من غسل مخه في الناحيتين يقع ضحية الإعلام المنحل في  
نظم عربية نديمقراطية . ومن يلجأ إلى البلاد المحافظة التي تغلق على  
نفسها الأبواب والثوابد وتحكم ترابيس المنع والرقابة لا يسلم من تسلل  
أشمطة الفيديو وأفلام النورنوجرافي من تحت عقب الباب . ومن وراء  
كل هذا تقوم سوق المخدرات والكوكايين والمخروين وأقراص الزواج  
وحقن الماكستون غورت شهبي الجو وتعد المناخ .



طوفان من المؤثرات يسير بنا إلى عصر سدوء وعمورة جديد . وقتئذ يقف منها الحليم حيران . ويتساءل المتسائلون . . هل من حل . . وبرغم كل شيء . . وبرغم تحالف الظلمة على هذا العصر . . قانا أرفض العنف كحل . . ولا أؤمن إلا بالوعى والحرية وإحياء الضحايا والمناقشة العلنية المفتوحة وفتح النوافذ على العيوب والاعتراف بالتناقض وعلاجها . لا رجوع إلى وراء . . ولا رفض للمكتسبات العلم . . التليفزيون والسينما والراديو أدوات محايدة بريئة وهى علامات تقدم . . وإنماهى تصبح علامات تأخر بما يوضع فيها

والحل هو توشيد الإعلام عن طريق مائدة مستديرة يدبر الحوار فيها حكماء العصر وعقلاؤه فى محاولة لإقامة مبادئ جديدة للرقابة الواعية على الكلفة المذاعة . أما عصابات المافيا الجنسية والمخدرات فتحارب بأساليبها .

ثم يبقى بعد ذلك وقبل ذلك أن ينتصر كل منا فى حربه مع نفسه أولا . ومن يخسر حربه مع نفسه يخسر فى كل الميادين . ولن ينحيه قانون أو نظام أو عصبة أمم . فهو قد خذل جميع القوانين حينما وضع سلاحه واستسلم للهوى من أول معركة .

فمن هناك لينصر ذلك الذى لم ينصر نفسه .

وفى كتاب المواقف والمحادثات للتفرى يقول نرب لعبده :

« أهوى رسول من رسل بأسمى الشديد أرسلته إليك . وفى أهوى نارى . فإذا جاءك جاءتك نارى فأدخلها . . قلت كيف يارب أدخلها . . قال لا تستجر بعلم ولا بمعرفة فإذا استجرت بهما أسرك أهوى وأسرهما . . واعلم أنه لا يجير من أهوى إلا أنا . . ولن تخرج من نار أهوى بعلمك ولا بمعرفتك . . وسوف تقيم فى النار حتى تأكل النار الجزء الجزء التالف من عقلك ومن نفسك . . فإذا أكلت النار ذلك الجزء تطهرت وأدركت أنه لا يجير من أهوى سوى فصرخت إلى فجتك وصرفت عنك نارى فلم تعد إليك » .

ويقول ربنا فى كتابه الكريم فى أجمل آيات التوكل .

( واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه . وأنه إليه تحشرون ) .

## [ الأنفال ٢٤ ]

وذلك هو التدخل الإلهى اللطيف فى لحظات التردى حينما يشرف الواحد منا على إهلاك نفسه فتأتى المشيئة الإلهية فتحول بين الواحد منا وشهوة قلبه فتقذه .

وذلك هو الأمل الذى يفتحه الله للمصارخين والمستنجدين حينما تغلق كل الأبواب . وحينما يطم الطوفان . وحينما لا تعود الحكمة تنجى ولا العقل يفيد . وحينما يشاء الله حسن الختام . ادعوا معى بحسن الختام .

المسلمون في يوغوسلافيا

مدينة موستار رمضان ١٩٨٢

تكية الدراويش على منابع نهر بونا . . في قلب يوغوسلافيا . .  
والمياه تنساب في مساقط وشلالات صغيرة . وتنعقد في دوامات  
لتجري كدوائر من اللؤلؤ تحت قدمي . وعلى جدران التكية تندلي  
مصابيح طويلة . وعلى السقف آيات قرآنية ورسوم وكتابات بالتركية  
والعربية يعود تاريخها إلى أكثر من أربعة قرون منذ دخول الأتراك من  
٤٥٠ سنة .

ومن النافذة أرى نهر بونا يخرج من أعماق مغارة في وسط الجبل  
وينساب مثلجا باردا برغم الجو الشديد الحرارة .

غسلت وجهي الملهب بماء النهر الثلج وتوضأت واستقبلت القبلة .  
من هناك حيث القبلة أمامي من قلب مكة من أكبر  
من ألف واربعمائة سنة خرج رجال يحملون كاسة لا إله إلا الله ليعلنوا

سها كاندفاع الريح إلى شواطئ الأطلنسي والفارسي . وليعبروا متوسمين .  
وليدخلوا من بوابة البلقان إلى قلب أوروبا . ومن مضيق جبل طارق إلى  
إسبانيا . وعلى هذه الأرض مازالت آثار خطواتهم على الرمال . .  
ومن هذه المياه شربوا وتوضؤوا

لا لم يكن بالسيف دخول الإسلام إلى هذه الأرض فقد جاء  
بهذا الدين تجار مسلمون منذ القرن الحادى عشر إلى يوغوسلافيا  
وآمن به اليوغسلاف القدامى ( فى جمهوريات البوسنة واغرسك  
وكروانبا ومكدونيا ) اختيارا ومحبة قبل أن يأتيهم الأتراك عزاة . وقبل  
أن يرتفع سيف أو ينطلق سهم . إن تاريخ الإسلام على هذه الأرض  
قديم

وعلى هذا الجبل الشاهق لم يصعد جندى تركى واحد إلى دير  
البوجوميل على القمة ، حيث اعتزلت طائفة من النصارى الأوائل  
رفضوا المذاهب الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية . واعتصموا  
بديانتهم الأولى الفطرية . لم يصعد إليهم جندى تركى واحد  
ولكنهم هم الذين نزلوا من القمة مرحبين بسفراء لآله إلا الله قائلين  
فى لمرحة . . لقد كنا فى انتظاركم . . لقد قرأنا خبر نبىكم فى إنجيلنا  
وأسلموا جميعا من فورهم . ومازال النير القديم على قمة الجبل يحكى  
القصة . ومازال الطريق إلى الدير وعرا لا يستطيع أحد أن يتسلقه

وحينما انحسر الغزو التركى وضعفت الدولة العثمانية ، واستولت  
الإمبراطورية النموية على أوروبا . وفرضت مذهبها الكاثوليكي ثم من  
بعد حرب العالمية الأولى حينما تكونت مملكة صربيا ، وفرضت مذهبها  
الأرثوذكسى . . ثم بدأت الحروب الطائفية بين الكاثوليك  
والأرثوذكس ، وبين الاثنين والمسلمين ظلت يوغوسلافيا مسرحا  
للحروب يقتل بعضها بعضا لم ينقذها من افلاك إلا جنود تيتو من  
جيش التحرير

بطول هذه الحروب لم تستطع السيوف أن تترع كلمة لا إله إلا الله  
من قلب أربعة ملايين مسلم . هم مسلمو يوغوسلافيا اليوم ولم يكن  
ما حدث منذ ٤٥٠ سنة فى يوغوسلافيا استعمارا تركيا . فلم يدخل  
انغراذ انتبك لينزحوا خيرات البلاد ولا معادها ولا كنوزها كما فعلت  
إنجلترا وفرنسا من بعد . وإنما دخل غازى خسرو بك إلى سراييفوليين  
مسحدا ومكتبة ومدرسة إسلامية ، وليخصص وقفا لختم المصحف كل  
يوم يوزع ريعه على ثلاثين قارئا يختمون المصحف كل يوم . ومازال  
هذا الختم مستمرا إلى اليوم فى مسجد خسرو بك الكبير فى سراييفو ،  
حيث يجتمع ثلاثون قارئا يختمون المصحف . وهو تقليد لا مثيل له فى  
أى مسجد فى العالم . . كما أنشأ خسرو بك تكية لإطعام الفقراء .  
ولتقديم ودية للمسافرين وعلفا لحيولهم



ومكتبة غازي خردو بت بها ١٥ ألف محفوظ من أنفس الكتب .  
ومدرسة خردو بت كانت تخرج الأئمة والوعاظ والعلماء . وكانت  
تركيبة تصعب للمدرس اليوغسلافي نفس المرتبة التي تصعب للمدرس  
التركي في الأستانة .

وداماد علي باشا فاتح موريا ( بوابة البلقان وأكبر فتنة في أوروبا في  
ذلك الحين ) هو الآن مدفون في كاتولامبدان ( قلعة ميدان ) وله  
قبر يحيط به ويلقون القروش في ضريحه تبركا . وذلك لسمعته في عمل  
الحير وجدة المظلوم ومعرفة المحتاج .

لم يكن الغزاة غزاة . وإنما حملة حضارة . ولكن الدين كتبوا  
التاريخ كتبه على هواهم . وكانت لهم مصلحة في تشويه حقائق  
ولقد ظلت المنطقة تعج بالحروب والفن والانعقاصات حتى  
جاء تيتو فاستطاع أن يوحد جمهوريات يوغوسلافيا الثماني ذات اللغات  
المتعددة ( صربية وكرواتية وسلافونية ) . والديانات المتعددة  
( اسلام وكاثوليك وأرثوذكس وشيوعيين ) تحت علم واحد وولا  
واحد . ونص تيتو في دستوره على حرية مسلم في أداء شعائره والدية  
لدينه . وكذلك حرية المسيحي وحرية الشيوعي . ويحفظ له اسمون  
الجسيل ويقولون إنه أنقذ الإسلام والمسلمين من المصير الذي حاق به  
في ألمانيا وجر وفرنسا وروسيا .

كما أنه أنقذ يوغوسلافيا من الشيوعية الستالينية ، ومن خروب  
عقائبة . ومن التبعية العمياء لروسيا أو أمريكا . واختار لها خطا  
اقتصاديا خاصا بها هو دولة المؤسسات . وهو ذلك الخط الوسط  
الدقيق بين ملكية الفرد وملكية الدولة . فالمؤسسات في يوغوسلافيا  
ليست مؤمنة ، ولكنها ملكية خاصة - جموعية - للعاملين فيها يعود  
عليهم ربحها وخسارتها . وهذا يعطيهم الحافز للعمل والخدمة  
الأحسن .

وقد قرأ تيتو القرآن ثلاث مرات ( في ترجمته اليوغوسلافية ) ،  
وكانت آخر مرة في مرضه الأخير . كما أوصى قبل موته بألا توضع على  
قبره النجمة الشيوعية ، وبألا يكفن في الكفن الأحمر الذي يكفن به  
الشيوعيون . كما رفض أن يوضع على قبره الصليب ، وأن يدفن تبعا  
لأي طقس مسيحي ، وطلب أن يدفن في بيته بلا طقوس ،  
وألا يكتب على قبره أي كلمة سوى تيتو - ولد في كذا ومات في كذا  
وذهب وذهب معه سره . ولا تعلم على أي عقيدة مات . ولكنه  
ترك وراءه يوغوسلافيا المتحدة والسلام والحرية والعمار .

وراء بقاء كلمة لا إله إلا الله في يوغوسلافيا . وبقاء الإسلام حيا  
في قلعة الاتحاد الأوربية جهود خارقة لجنود مجهولين . كما أن وراءه  
نخبطا وتنظيما مستنيرا متقدما متطورا .

والوحدة الإسلامية في يوغوسلافيا هي المسجد . والمسجد مجلس إسلامي يديره . ثم إن لجمعية المساجد في مدينة بيجينا أعلى . ثم إن لجمعية المدن بيجينا نيابيا في كل جمهورية من الجمهوريات اليوغوسلافية . وهذا المجلس النيابي ينتق منه مجلس إسلامي تنفيذي يسمى « المشيخة » . والمشيخة الإسلامية هي الوحدة الفعالة التي تقوم بجميع الأعمال الدينية من تعيين الأئمة والوعاظ والخطباء . إلى إنشاء المدارس الإسلامية . إلى إصدار النشرات والمجلات والكتب . إلى بناء المساجد وتعيين المفتين . ويرأس المشيخة رئيس مختار من المجلس النيابي وفوق الكل رئيس العلماء .

وفي المشيخة الإسلامية لجمهورية البوسنة واهرمك وكرواتيا وسلوفينيا ومقرها سراييفو . التفت برئيس المشيخة الدكتور أحمد سمايلوفتش . وهو متخرج من الأزهر . وحائز للدكتوراه على رسالة نادرة عن الاستشراق . قال لي الدكتور أحمد :

— في الجمهوريات اليوغوسلافية أكثر من ألفي مسجد وجامع

وفي مشيخة سراييفو وحدها أكثر من ألف واعظ ومرشد ديني . وعندنا هنا في سراييفو مدرسة ثانوية لتخريج الأئمة يدخل فيها الطالب من سن الخامسة عشرة . ويعيش في حضانة كاملة وإشراف ديني كامل من اللحظة التي يصحو فيها إلى اللحظة التي يرقد فيها لينام . وفي

مدينة عتابر للأكل وعتابر للنوم . وفيها مكتبة . وعلى الطالب أن يصلي جميع الفروض في المسجد في أوقاتها . وأن يتابع ويقرأ كل ما يستجد من العلوم المفيدة .

وفي سراييفو أيضا معهد ديني مماثل للثبات لتخريج الداعيات المسلمات . وقد سمعت إحداهن واسمها سعادة سينا . تقرأ القرآن وتجود في مسجد تشاي تشا بصوت جميل ساحر . وحوثا رواد المسجد يستمعون في خشوع . وقد أغضبوا عيونهم واخضلت لحاهم بالدموع . وقد أنشأت المشيخة أيضا كلية للدراسات الإسلامية

يقوم الدكتور أحمد سمايلوفتش نحن نعيش في قلب أوروبا في مناخ ثقافي مستير . يعج بالتيارات الفكرية . وعلى المسلم أن يقرأ ويتعلم ويفتح على جميع التيارات ليعرف كيف يتعامل معها في سلام . وكيف يرد عليها بمنطق وموضوعية ويعلم دوما تعصب

نحن نترجم ونطبع وننشر هنا كل جديد في الفكر الإسلامي من جميع اللغات . وعندنا ناد للشباب يلتقي فيه الشباب من الجنسين في ندوات ولقاءات فكرية أسبوعية . يدور فيها الحوار في كل ما يشغل الناس من مشاكل العلم والدين والمجتمع

وتصدر المشيخة مجلة نصف شهرية هي البعث الإسلامي . وأخرى شهرية هي الفكر الإسلامي هذا غير مجلة زمزم التي تصدرها طلاب

معهد خسرو بلت كل شهرين . وقد أنشأ مركز إسلاميا في مدينة  
لوبليانا ونحن الآن نقوم بإنشاء مركز ثان في زغرب قدرت تكاليفه  
المبدئية بستة ملايين دولار

والاستماع إلى الدكتور أحمد سمبلوفتش متعا . فهو شاعر من  
الحماس والحركة والنشاط والعمل الدائب . وهو مثال عظيم لروح  
العجيب بين الروح الأوروبية والقيم الإسلامية الرفيعة . كانت ترى فيه  
أخوة والمبادرة والإيجابية التي تراها في الأوربي . كما ترى فيه السجادة  
والتواضع والخلم والكرم والإيمان وضمان القلب ووداعة النفس التي  
لا تراها إلا في المسلمين

وهو نموذج جديد مبته بصورة جديدة سوف تنشأ من روح  
الحضارة الإسلامية باختصار العلمية الأوروبية . وهو ورفاقه  
المتاصلون عبد الرحيم هوكتش . وحمدي يوسف سباهتش .  
وسعيد إسماعيل كتش وشوفي عمر ناشيت وغيرهم من الكثرة الذين  
قابلت وعرفت . هم جلائع جيل جديد من الصفوة منهم بالنسبة  
لأوروبا مثل الصفحات الأوائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى في مجتمع  
الإسلام الأول

قال لي حمدي يوسف سباهتش مفتي بلغراد :

كانت أعنية المهدي التي تهديني بها أمي هي كعب لا إله إلا الله

تغنيها في حنان . وهي تهزفي بين ذراعيها حتى أنام . وكان أول  
ما نطقت به شفتاي . وأنا رضيع هي كلمة لا إله إلا الله . وكان آخر  
ما قالت لي أمي وهي على فراش موتها : يا ولدي أهون علي أن تموت  
مؤمنًا شهيدًا من أن تعيش وزيرًا كافرًا

قال هذا ودمعت عيناه وهو يعود بخياله إلى مشهد وفاة أمه الأخير  
قال لي : لقد جئت إلى بلغراد مع زوجتي المصرية ، وليس فيها  
إلا مسجد واحد بقي من ٢٧٣ مسجدًا هدمت كلها وأزيلت . . وحتى  
هذا المسجد الواحد كان مغلقًا . وكان المفتي السابق يلزم بيته لا يبرحه  
خوفًا من الناس

قال وعيناه تلمعان . ولففت عمامة المفتي على رأسي . ومشيت في  
شوارع بيوجراد أبتسم لكل من ألقاه . وألقي إليه بتحية الإسلام  
وأحبي الكل . وأحيت الكل الكاثوليك والأرثوذكسي  
والشيوعي والمسلم .

وفتحت المسجد . ولم يتسع لكثرة المصلين في العيد . فأخذناهم  
على ثلاث نوبات في كل مرة مائة .

ولا أنسى ما رأيت من أمر هذه الصفوة الطيبة في سرايفو يوم  
العيد . وقد اجتمعوا في بيت مدرسههم وأستاذهم العجوز دكتور أحمد  
توزلتش أستاذ اللغة اللاتينية واليونانية ٨٩ سنة . . وتكلموا ليجلسوا

معهد خمسمائة كل شهرين . وقد أنشأ مركز إسلامي في مدينة  
لوبيانا ونحن الآن نقوم بإنشاء مركز ثان في زغرب عذرت تكليف  
لمدنية ستة ملايين دولار

والاستماع إلى الدكتور أحمد سميلوفيتش متعة . فهو شحنة من  
الحماس والحركة والنشاط والعمل الدائب . وهو مثاقيد هذا الزوج  
المعجب بين الروح الأوروبية والقيم الإسلامية الرفيعة . ولست ترى فيه  
افهة والمبادرة والإنجابية التي تراها في الأوربي . كما ترى فيه تسامح  
والتواضع والفهم والكرم والإيمان وطمأنينة القلب ووداعة النفس التي  
لا تراها إلا في المتدين

وهو نموذج جديد مبني حضارة جديدة سوف تستلهم من روح  
الحضارة الإسلامية باختصار العلمية الأوروبية . وهو ورفاقه  
الفاضلون عبد الرحمن هوكيتش . وحمدى يوسف سباهتش .  
وسعيد إسماعيل كيتش وشوفي عمر باتييت وغيرهم من الكتبة الذين  
وابت وعرفت . هم طلائع جيل جديد من الصفوة مثلهم بالنسبة  
لأوروبا مثل الصفوة الأوائل في بكر وعمر وعنان وعلى في مجتمع  
الإسلام الأول

قال لي حمدى يوسف سباهتش مفتي بلغراد :

كانت أغنية المهدي التي تبهمني بها أمي هي كلمة لا إله إلا الله

تغنيها في حنان ، وهي تهزني بين ذراعيها حتى أنام . وكان أول  
ما نطقت به شفتاي . وأنا رضيع هي كلمة لا إله إلا الله . وكان آخر  
ما قالت لي أمي وهي على فراش موتها : يا ولدي أهون علي أن تموت  
مؤمنًا شهيدًا من أن تعيش وزيرًا كافرًا

قال هذا ودمعت عيناه وهو يعود بخياله إلى مشهد وفاة أمه الأخير .  
قال لي : لقد حنت إلى بلغراد مع زوجتي المصرية ، وليس فيها  
إلا مسجد واحد بقي من ٢٧٣ مسجدًا هدمت كلها وأزيلت . . . وحتى  
هذا المسجد الواحد كان مغلقاً . وكان المفتي السابق يلزم بيته لا يبرحه  
خوفًا من الناس

قال وعيناه تلمعان . ولففت عمامة المفتي على رأسي . ومشيت في  
شوارع بيوجراد أنسم لكل من ألقاه . وألقي إليه بتحية الإسلام .  
وأحييت الكل . وأحييت الكل الكاثوليكى والأرثوذكسى  
والشوعى والمسلم

وفتحت المسجد . ولم يتسع لكثرة المصلين في العيد . فأخذناهم  
على ثلاث نوبات في كل مرة ستائة

ولا أنسى ما رأيت من أمر هذه الصفوة الطيبة في سرايفو يوم  
العيد . وقد اجتمعوا في بيت مدرسهم وأستاذهم المعجوز دكتور أحمد  
توزلتش أستاذ اللغة اللاتينية واليونانية ٨٩ سنة . . . وتكلموا ليجلسوا

في ظله وكأنهم يتظللون في ظل سديانة ، وهو يذهب ويعود في نشاط  
وفي يده أطباق الكعك يقدمها لهم في حب وأبوة وهم يأكلون من  
يده . ويدعون له بالصحة والعمر . وينظرون إليه في احترام وإجلال  
ومودة .

قال لي الدكتور أحمد سميلوفتش هامنا وهو يشير إلى أستاذه :  
إن سيدنا يحفظ القرآن كله عن ظهر قلب مع أنه لا يعرف  
العربية .

ولما رآني أبدى دهشني قال : هذا حال الألوف من أهل  
يوغوسلافيا . يحفظون القرآن وينلونه ويكونون دون معرفة بالعربية  
وهم يسمون الذي يحفظ القرآن حاحي حافظ .

وكنت مازلت على دهشني . أعجب في نفسي . ماذا يعني  
عندهم اللفظ القرآني حتى يكون لتلاوته هل هو الإيقاع أو  
النغم . أو السر الإلهي الذي وراء الإيقاع ووراء النغم ووراء الحروف  
وقد ظلت على دهشني حتى رأيت بنفسى الأعداد الغفيرة من  
اليوغوسلاف الذين يصلون يوم العيد ويكون في أثناء الاستماع إلى تلاوة  
القرآن دون أن يعرفوا من العربية حرفاً

وخطباء الجمعة يبدأون الخطبة بالعربية . ثم يترجمونها ما قالوا  
باسهاب إلى اللغة اليوغوسلافية

وهناك محاولات دائمة ومستمرة لتعليم اللغة العربية ونشرها  
ونكس يمان الناس أنه يستظر . وإنما عانقوا لا إله إلا الله واعتدوها  
بأرواحهم . وأمنت قلوبهم وأطمأنت نفوسهم . وشجعت أرواحهم  
بوقولوا . نعم فيما بعد وتشجع عقولهم فيما بعد

وهنا يأتي دور المشيخة الأسطورية في نشر الفكرة الإسلامية  
وترجمتها وتوصيلها إلى الملايين العطاش . وإلى العقول الملهفة التي  
تريد أن تعرف ماذا في هذا القرآن الذي سحرها

رسالة شاقة حملها هذا النفر القليل من الصحابة الكرام يبدأون  
في الصغر من اللوح الأردواز والأجدية . ويتشربون مع الناس حرفاً  
حرفاً

وأكبرت فيه هذه الروح . ورأيت فيه لونا من الإسلام الأول في  
نفاثه وفطريته وبكائه وطهارته

ولا شيء يشبه ذلك إلا طبيعة يوغوسلافيا ذاتها حباها وأوديتها  
وبناييعها العذبة . وزروعها الخضراء وغاباتها الكثيفة . وورودها  
الزاهية . وسماؤها الصافية

وإذا يتفجر من كل مكان بارداً مثلجاً نقياً عذباً من تحت  
وسبيل

جبل بكر مضوى غير مصنوع . تغسله الأمطار وتصفقه بد



الرياح كان شيئاً مختلفاً عن جبال النسا الذي رأيته فيما بعد ذلك الجبال المصنوع فالأشجار والحشائش والغابات في تحت صفقتها يد (الكوافير) البشرى . وهندستها وخطتها يد مهندس الديكور مثل وجود النساء هناك . الحواجب مرسومة بالثقل والحدود مغطاة بالمساحيق وفي يد كل امرأة كلب هو الآخر مصنف الشعر .

وبين حدود النسا وحدود يوغوسلافيا دقائق . ولكن كل منهما عالم غير العالم وناس غير الناس

وعشت في النسا وفلبي معلق بالصحبة الكرام في . يبقو . وخبالي مازال يصغي إلى صوت سعادة سربا التي سمعنا نقرأ القرآن في مسجد تشاي نشا . والعيون حوفا مغمضة واللحم محضلة بالدموع وشعرت أني تركت أهلي وعشيرتي هناك

وتمنيت لو رأيت أحمد سحابلو فتش إلى جوارى لأكله

وكنيت مازلت أسمعه يقول لي :

- لماذا تريد أن نتركنا ونذهب إلى النسا وماذا عندهم في النسا

مما لا يوجد عندنا ؟ عندهم جبال وعندنا جبال . عندهم غابات وعندنا غابات . عندهم عيون معدنية وعندنا عيون معدنية . نعم يا عزيزي أحمد وتلك أوروبا وهذه أوروبا

ولكن مع ذلك كنت أشعر أني أمشي في قارة أخرى . الجبال غير جبال . والغابات غير الغابات . والناس غير الناس . وبرغم أني وجدت الصحة الكريمة مع عشرات من المصريين الذين صادفهم في النسا ( وفي النسا خمسون ألف مصري يعمل أكثرهم في بيع الصحف ) وكنت أجد المودة المصرية والتكئة المصرية والكرم المصري في كل مكان . وبرغم أني وجدت الجبال المهندمة . والأشجار المصنفة المخصصة . كأنما خرجت من تحت مقص الكوافير سقراط . إلا أني ظلمت أفتقد شيئاً في الدنيا حولي . وفي الجو وفي الناس وفي الحياة في النسا أشبه بفندق جميل أوقاعة موسيقى . أوصالة رفص أو مبدية ملامح . وكل واحد يعمل ليكسب ويستمتع . والحياة عند الكبار هي الهدف والقيمة . ماذا تأكل وماذا تشرب ؟ ومن تصاحب وأين تذهب هذا المساء ؟ وفي أي حفل تلقى بنفسك آخر الليل ؟ هذا هو ما يشغل البال . وبعد ذلك لا شيء . بهم

يمكن عند أصحابنا في ما يبقو كانت هناك أشياء أخرى كثيرة . بعض هناك صحفى بالنسبة الخفية وه يفكر في المسهرة أو سكرة . حصص المدافى . وراح يكسح ليوصل إلى ناس معنى . ومع عدم دطلا . أو يحبرهم حقيقة . وأضح في كدحه زهرة بعد ومشي نسيب . يعمل هذا دون شعور خرمون . ودون أن يغبط

الآخرين الذين سبقوه إلى المنعة . وإنما هو يكدر بلذة وطعانية .  
 ويشعر بالإشفاق على كل الذين يستمتعون بغفلة . ويتمنى لو استطاع  
 أن يوقظهم . . . وهو موقن أنه يموت فيلقى ربه فيسأل . وهذا اللقاء  
 عنده هو كل شيء . وهل بعد الله شيء - أو قبله شيء - ؟ ! وهل  
 يساوى الله شيء - ؟ ! ذلك هو الإيمان البسيط القهطري الذي يغير  
 الحياة .

والإسلام ليس أكثر من طريقة حياة . إنه ليس شعائر ولا مناسك  
 ولا أزياء ولا حوالة ولا بسملة . وإنما هو طريقة حياة ورؤية وتدفق  
 وسلوك وخلق

ولهذا كانت سرايفو قارة مستقلة بذاتها في قلب أوربا مستقلة  
 بأهلها وبأسسها وعاداتها وسلوكياتها

سلام على سرايفو

وسلام على أحمد ستايلوفتش وصحبه في العالمين

## على شاطئ رودس

رودس في ١٠ أبريل سنة ١٩٨٢ :

كنت نقل أصابعي في كسل بين المحطات على الراديو الترانزستور  
نصغري في كفى . وأستمع إلى الأغاني اليونانية . . كانت الأخان مزيجنا  
عجيب من المواويل المصرية . والفولكلور الصعيدي . والتواشيح  
لأندلسية والفلامنكو الأسباني . وإيقاعات الجرك والرقصات  
لأمريكية المجنونة . وفي محطات أخرى أنغام السيمفوني والأوبرا وماريا  
كلانس

وكانت الصحيفة اليونانية في يدي تمتلئ بالمانشطات الحمراء عن  
مظاهرات الحزب الشيوعي التي تطالب الحزب الحاكم ( وهو الحزب  
الاشتراكي ) بالمزيد من التأميمات . . وصور عن مسيرات الشباب  
تحمل الأعلام الحمراء . وتمثيل لينين وماركس وإنجلز . . وفي مكان  
آخر عن دوين بارزة للشورة المضادة التي تجري في الخفاء . والتي يقودها

أصحاب المصانع . عشرات المصانع أعلنت إفلاسها وأغلقت أبوابها  
وسرحت آلاف العمال . شركات النقل البحري توقفت عن العمل  
بسبب مقاطعة السوق الأوروبية المشتركة للنافلات اليونانية المضخمة  
(كأسلوب ضغط على النظام الاشتراكي القائم) . وفي صفحة  
البورصة هبوط حاد لأسعار الدراخمة اليونانية . وارتفاع حاد لأسعار  
الدولار . وأعمدة كثيرة عن البطالة والبيروقراطية وهبوط الإنتاج .  
كان كل شيء يتحدث عن حيرة هذا البلد من بلدان العالم  
الثالث . وتخطيه بين النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي . وما يعانيه من  
شد وجذب بين الشرق والغرب وضياعه في فلك القوتين الأعظم

أمريكا وروسيا . . . شأن كل دول العالم الثالث

ولكن برغم كل شيء . . . فقد كانت الحياة تبدو أوروبية غربية في  
ظاهرها . والشارع اليوناني يبدو كشوارع لبنان . لا يتمي لسياسة  
ولا لمذهب سوى الربح وبأية وسيلة .

واليوناني العادي يتاجر في كل شيء . حتى في تاريخه وماضيه .  
ويصنع من حضارته القديمة بوتيكات ودكاكين وأسواق ومعارض  
ومتاحف وسوبر ماركت وبازار .

السياحة هنا هي بئر البترول الوحيدة التي تعيش اليونان من  
عائداتها . والسياحة لكي تكون سياحة ناجحة يجب أن تكون بلا لون

ويلا طعم وبلا رائحة . تكلم كل واحد بلغته . وتلبس لكل واحد لباسه  
وتقدم لكل واحد مشربه .

ولذلك نسمع اليوناني العادي يتحدث عن فوز الحزب الاشتراكي  
بأنه نقطة ما كان يجب أن تحدث . ويقول لك : ما لنا نحن وما  
روسيا . ولماذا نتحاز اليسار أو اليمين . نحن نتعامل مع الكل .  
وبلد سياحي يرحب بالكل . ثم يضيف قائلا في ثقة : بأن الحزب  
الحاكم جاء ليفشل ويرحل . وأنه لن يعمر طويلا . وأن اليونان  
لتصبح اشتراكية لا بد أن تحس نفسها وشخصيتها ثمنا لهذا التحول . ثم  
لا تتحول بعد ذلك لشيء يذكر .

أما لماذا فاز الحزب الاشتراكي ؟ . . . بمصمم اليوناني شفته  
ويقول : جنون التغيير عند الشباب : مجرد التغيير . مجرد الملل من  
الوجوه القديمة . وعيب الشباب أنه عاطفي يصدق الخطب . ويصدق  
الشعارات .

إنهم يكذبون . . . كلهم يكذبون . ولكن من كثرة ما كذبوا بدءوا  
يصدقون أنفسهم . هذه أمور تحدث في أحسن العائلات .  
هيه . . . ما رأيك . . . تشتري تمثال أفلاطون إنه أوبال فخم  
وماذا تقول في هذا التمثال الآخر . إنه لديدوجين صاحب المصباح  
الشهير الذي كان يبحث عن الحقيقة بفانوس في عز النهار





رجل يبدأ حياته في الخائن فيفقد أمة ويخوض حرباً ويغير الخريطة  
جغرافية والتاريخ . ظاهرة حيرت الأفهام واختلفت في تفسيرها الخصم  
والصديق

قال الخصوم هو رجل روسيا تغرب به المنطقة . وتستنفذ طاقاتها  
وافتصادها باخروب . وإنه المرحلة التي تأتي بعدها الشيوعية . وإنه  
لوسيلة الذكية التي تستعملها روسيا لتنفر الشعوب من الدين ورجاله .  
ممنح الكمال ذراعيه بعد ذلك للفكر الشيوعي اللاديني . واستشهدوا  
على كلامهم بأن ٩٩٪ من السلاح الذي يخارب به الخوميني سلاح  
روسي يأتيه عن طريق وسائط عربية وسلاح إسرائيل أيضاً . فكيف  
يعقل أن تضرب روسيا الإسلام في أفغانستان وتنصره في إيران ؟ وكيف  
يعقل أن تكون إسرائيل نصيراً للمسلم ؟

وقال الأصدقاء : هذا تشويه للرجل . فلا يمكن أن يكون رجل  
روسيا . ثم يخوض حرباً ضد الشيوعية في بلاده . ويستدرج الحزب

الشيوعي « مجاهدي خلق » إلى مذبحة دموية يستأصل فيها شأفته  
لا يساوم ولا يهادن . . . إنه الإسلام . فالشباب الذي يحمل كفته  
ويذهب للحرب يقاتل حتى الموت تحت راية لا إله إلا الله لا يعرف  
غيرها راية .

وقال خصوم آخرون : بل هو رجل أمريكا . فلولا خذلان  
أمريكا للشاة لما استطاع الخميني أن يقف على قدميه . ولو تحركت  
أمريكا والثورة الإيرانية في المهد لأجهضتا .

وقالوا : هي لعبة الأمم . فمن مصلحة روسيا وأمريكا وأوروبا  
الخلاص من أكبر قوتين عسكريتين في المنطقة . ومن أكبر ترسانتي  
سلاح وهما العراق وإيران . وهذا استدراجا للآتين إلى مذبحة . وضو  
يمدون الحرب بالوقود والسلاح . ويشعلون النار كلما خبت رادوها  
سعيًا . . . كما استدراجا الأموال العربية إلى هذه الحفرة . واستنفور  
الثروة النفطية لجميع الجهات العربية التي تساعد العراق . والتي تساعد  
إيران . وما زال كل بلد عربي يدفع . وما زالت الحفرة تملأ والاستنزاف  
مستمر ولا يؤذن بنهاية . . . وهي لعبة تستفيد منها أمريكا وروسيا وأوروبا  
وإسرائيل والعالم شرقه وغربه . بل إن القضاء على هذه القوة  
العسكرية العراقية . والقوة العسكرية الإيرانية هو ضمان وأمان وراحة  
باللجيران العرب الضعفاء . والأقل تسليحاً على شاطئ الخليج

هي إذن مقننة يستفيد منها الكل القريب والغريب . ولهذا يكت  
عيب الكل ويساعد فيها الكل .

كل الظواهر التاريخية أعقد من أن تصلح لها التفسيرات البسيطة  
المبسطة . والتاريخ مجموعة عوامل شديدة التداخل وشديدة  
التعقيد . وقد يبدو في الظاهر أن روسيا وأمريكا يستعملان الرجل  
نصائجه . ثم تنكشف الحقيقة فإذا بالرجل هو الذي استعمل الاثنين  
بجمل إلى غايته . والفرق شعرة دقيقة بين أن تكون خادعاً  
ومخدوعاً . وهو فرق لا يستطيع أن يتبينه ذكاء صغرى

وقالوا : إن الرجل هو الفتنة الكبرى التي حافت بالإسلام . وإنه  
هو الإمبراطورية الساسانية الفارسية تعود من جديد في عبادة لا إله إلا  
الله . لتقسيم الإسلام إلى شيعي وسني بقتل كل منهما الآخر . فلا تقوم  
لإسلام بعد ذلك قائمة . والقانون بهذا لم يكتفوا بانتهام العمل بل  
نهبه أيضاً

هل ما يجري في الوطن الإيراني ثورة إسلامية على وجه الحقيقة ؟  
أو هي ثورة سياسية تستخدم الإسلام ؟ ! أو هي أطماع طبقة جديدة  
تريد أن تحكم ؟ !

هل يقصد قادتها وجه الله ؟ أو يقصدون السلطة ؟ ! لا أحد  
يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة إلا ظناً وتخميناً . ولكن المؤكد أن

تحشيد الشعب يتم بشعارات إسلامية واستنفار الألوف للحرب . يحدث  
بشعارات إسلامية . . واستجابة القلوب لصرخة الجهاد يحدث بفعل لا  
إله إلا الله في هذه القلوب ، والقوة التي غيرت مسار الحرب وصعدت  
للدمار . وواجهت الموت وقلبت الهزيمة انتصاراً هي فعل لا إله إلا الله  
في المقاتلين . . وهذه الظاهرة هي التي أفرغت الغرب وأدهشت  
المراقبين الأجانب . وأطلقت العقل الأوربي يبحث في هذه الظاهرة  
التي أسماها ظاهرة الحمقى .

هل يعود الإسلام قوة عسكرية متفوقة كما كان حينما هزم الفرس  
والروم ؟ هل تعود الدولة الإسلامية الموحدة لتصبح خطراً على أمن  
أوروبا وأمريكا وروسيا ومعها هذه المرة كتوز الطاقة والدولار .  
والأعداد البشرية الهائلة ؟

يقول توماس ليهان : إن هذا الفرع ليس له ما يبرره . . وإن  
الدولة الإسلامية الموحدة ستظل دائماً حلماً مستحيلاً براود المسلمين . .  
وإنها انتهت بانتهاة خلافة عمر بن الخطاب . ولم تتكرر ولن تتكرر .  
وإن المصالح بالنسبة للدول والحكومات العربية أثبتت على مدار  
التاريخ أنها أقوى من حافر الدين . فلن تقبل مصر ذات الألف مسجد  
أن يحكمها خليفة في بغداد باسم الإسلام . فعندها إسلامها الذي تعز  
به . ولن تقبل وصاية من أحد . ولن تقبل الحجاز أن يحكمها خليفة

يرى باسم الدين . وهي نفس أرض الدين وكعبته . . وكل شعب  
عرف الآن يكاد يتفرد بتقاليده وعاداته وشخصيته . . وما حدث في  
الماضي كان أن بسط الإسلام سلطانه على أرض الكفر والشرك . ووجد  
دويلاتها تحت رايته . . أما اليوم فالدول العربية هي دول إسلامية  
بالمفعل . فما مصالحها ولما استقلالها . ولا يوجد مبرر لأن يأتيها الإسلام  
حاكماً من الخارج . . ويقول توماس ليهان : إن ما حدث تاريخياً كان  
العكس . فقد حاربت الدول الإسلامية بعضها بعضاً بدافع المصلحة  
بأكثر مما حاربت دول الكفر بدافع نشر الدين . وكان انقسام الإسلام  
إلى سنة وشيعة وخوارج ومعتزلة . وإلى غيرها من المذاهب سبب تفرق  
بأكثر مما كان سبب تجمع .

والخليفة المرتقب الذي يراه المسلمون في الحلم . والذي تسلم له كل  
الحكومات مقاليدها . وتنقاد له كل الشعوب مختارة لا بد أن يكون نبياً  
أورجل معجزات مؤيد بالخوارق التي نعوذ بها كل الجبابرة راعمة . وقد  
انتهى زمن النبوات كما انتهى زمن المعجزات . وبالتالي لا يبقى أمل  
ولا سبيل إلى تحقيق حلم الدولة الإسلامية الموحدة .

ويقول توماس ليهان : إن البعث الإسلامي في بلد لا يستتبع  
بالضرورة عداء لأمريكا . . والسعودية كمثال هي بلد إسلامي صديق  
لأمريكا . وكذلك تركيا الإسلامية هي الأخرى حليفة لأمريكا .

وبباكستان الإسلامية مثال ثالث . فلا داعي لهذا الفرع الأمريكي لكل هيئة إسلامية .

وإذا سلمنا مع توماس ليمان بالصعوبات التي حالت تاريخيًا - وسوف تحول مستقبلًا - دون عودة الإمبراطورية الإسلامية خلف راية الخليفة الواحد . فإن هناك لونا آخر ممكنا من ألوان الوحدة . هو « اتفاق القول » بين مجموع الدول الإسلامية وعزمها الموحد برغم اختلافها وتعدد مصالحها ، وهو اتفاق حدث في حرب ١٩٧٣ وكان وراء العبور والانتصار . وهذا الاتفاق والاتحاد قد يأتي في حبه ويؤدي رسالته ويصل إلى أهدافه بأكثر مما تستطيع دولة موحدة تعمل وراء خليفة واحد ، وتأتمر لأساليبه القهرية . وهو أمل يكفينا كحلم قريب ممكن التحقيق

ثم من أولى بالفرع ؟ ! هم كدول كبرى نووية ذرية بفرعون منا نحن الدول المتخلفة الضعيفة الفقيرة . أم نحن منهم . وهل هذا الفرع الغربي والشرقي كان دافعهم طول الوقت على هذا التفتيت المستمر للقوى الإسلامية ؟ ! وهل تقف أهدافهم عند مجرد إحباط فكرة الإمبراطورية الإسلامية والدولة الموحدة أو أنها تمضي لأكثر من ذلك . . تمضي إلى الإفكار المستمر لهذه الدول لتعيش تحت مستوى الوعي طول الوقت وطول التاريخ ؟ !

إن ظاهرة الخميني التي اختلف فيها الخصم والصدیق . والتي تفرقت فيها الآراء . هي ظاهرة محيرة أوقف أمامها عاجزا عن القطع برأي له فلاإذاعات التي تصلنا من طهران هي ألوان من البروباجندا ينطبق عليها ما ينطبق على البروباجندا الخزبية من مبالغات . وما يشبه الإذاعات الأجنبية وما يتدفق من الوكالات الصحفية الأجنبية . قد يكون كلاما ملفقا تمليه الدعايات والأهواء والمؤتمرات الدولية . وخفينة ضائعة لن يخلوها إلا الزمن والتاريخ . أن ما يجري في إيران علامة استفهام

والخميني نفسه ذلك الرجل الذي بدأ حياته في الثمانين هو علامة استفهام أكبر . ولكن الفرع الغربي أمام هذه الظاهرة . وتدفق نشات والكتب والبحوث عن الإسلام ماضيه وحاضره ومستقبله . مراقبون ورجال المخابرات والصحفيون الذين يتقاطعون أرتالا على نواحي العربية لتقصي ظاهرة الخميني . وتحسس التيار الإسلامي في منطقة هم المؤرخ الذي يستوقف النظر . والذي يكشف عن المدى بعيد الذي امتدت فيه هذه المنطقة للمدسات والمؤامرات بدافع خوف المستمر من الإسلام

مطر واحد من أنوار الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية وقفت معه طويلا . هو ما قاله عن إمام الشيعة : « إن من ضروريات

مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب . ولا نبي مرسل . وهو ما يستوجب طاعة الجميع له . بل إن جميع ذرات الكون يخضعون وسماواته تخضع لولايته وسيطرته . [ ص ٥٢ ]

ومثل هذه الدعوى التي يقول بها الخوئي ترفع الإمام إلى درجة العصمة المطلقة . وتكاد تجعل منه إلهاً معبوداً تأتمر بأمره جميع ذرات الكون . وتعلو بمقامه فوق مقام الأنبياء المرسلين والملائكة المقربين وهو كلام لا يريح .

فمثل هذه الدعوى يمكن أن تكون فتنة أخطر من كل ما أتى بها شياطين الشرق والغرب من فتن . ويمكن أن تؤدي إلى فساد لا يقاوم فساد . وليس بعد ادعاء الألوهية فساد ولا إفساد . فكيف رجع من هذا الإمام لو ظهر علينا ؟ وكيف نسائله وهو أعلى مقاماً من الحى المرسل والملك المقرب ؟ وهو الذى تخضع له ذرات الكون وتأتمر بأمره ؟ ولا يخفف من خطر هذه الدعوى أن الخوئي يعود فيقول : ونكفى لست ذلك الإمام . ولم أبلغ هذا المقام المحمود بعد . فذلك توهم لا يغير شيئاً من فساد المبدأ . فإن أتباعه يرون فيه تلك الإمامة وينادونه بأية الله روح الله

ولم يدع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لنفسه هذا المقام وإنما قال قولاً القرآن :

( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ ) [ ١١ الكهف ] .  
( قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ) [ ٤٩ يونس ] .  
( قل بئى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ) [ ٢١ الجن ] .  
( قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بى ولا بكم ) [ ٩ الأحقاف ] .

ولم يقل بأن ذرات الكون تخضع لولايته وتدع لسيطرته . وهذا هو الفرق بين موقف السنة وموقف الشيعة . والسنة تقف عند هذه الآيات غريبة . ولا تريد ولا تعطي للنبي وخلفائه أكثر مما أعطاهم الله ورسوله .

أما الشيعة فتعطي للإمام قدسية وعصمة وربانية على الأشياء والناس . وتجعله نعتاً لروح الله . ومثل هذا الفكر يعنى سياسياً في تطبيق دكتاتورية مطلقة بكل أخطارها ومساوئها هل تكفى هذه السطور من أقوال الخميني لإدانة الثورة الإيرانية وإدانة المبدأ الشيعي كسياسة ؟

أمسك عن القول . وأترك التاريخ ليحيب . فالسؤال هذه المرة أكبر من عقلى . وما نعلم من خفايا اللعبة التي تجري الآن على المسرح أقل بكثير مما لا تعلم .

والله فوق كل دى علم عليم .



المسألة والحل

### الاثنين ٣٠ أغسطس شاطئ العريش :

هبات النسيم القادم من البحر تأتي ومعها السكون والراحة . . هي  
الأخرى جاءت بعد مشوار طويل حول نصف الكرة الآخر بين مطبات  
فواء الساخن والبارد وبين كتل المياه الساخنة والباردة من الهادي إلى  
الأطلنطي إلى المتوسط فهي مثلنا في تقلبنا بين تيارات الفكر بين يسار  
ويمين وبين شرق وغرب . . فما أشبه إنسان العصر الحاضر ببرادة الحديد  
المبعثرة تشدها أمواج المجال المغناطيسي عن يمين وشمال . . ومثلما يتحازز  
الإنسان إلى هذا المجال أو ذاك تنحاز الدول وتتصاعد في أحلاف  
ويتصاعد معها الموج السياسي وتتصاعد الكتل في نزاعات وحروب .  
الموج المادي رأسماليا كان أو شيوعيا ( ولا فرق يذكر بينهما )  
فكلاهما فكر مادي يقدم وعدا بالرخاء المادي . . وذلك الموج يشد  
لأغلبية في شباكه وحيثه .

والموج الديني يشد القلة الباقية إلى المناهج الإخية والمثل والشرائع الربانية .

وإنسان العصر بين السابح في هذا الموج أو ذاك مهاجرا إلى أيها في اعتدال أو منكبا على وجهه في تطرف أو ممزقا بين الاثنين في حيرة . أمريكا تغريك بالحرية . وأنت في أمريكا حر . تاجر اكسب . ابتكر اخترع اسرق اقتل . اقتل حتى نفسك بالمخدرات أو اقتل الرئيس الأمريكي . ثم يفرج عنك بعذر الاخراف العقلي . افعل أى شئ . تتصور أن فيه سعادتك ورخاؤك وتلك فلسفة .

وفي روسيا من أجل الرخاء الموعود نفسه يقدمون لك فلسفة أخرى . يسلبونك فيها هذه الحرية الفردية في مقابل بطاقة أمن من الدولة وبطاقة نموين وبطاقة كساء شعبي ومجانبة تعليم ومجانبة علاج . لا يهم بعد ذلك شكل التعليم وشكل العلاج ونوع الخضر الذي تجدد في الطابور ونوع البذلة التي تجدها في البطاقة . . . والعمال في بولنده الذين لم يجدوا سوى الشعارات ثاروا ومشوا في مسيرات يرفعون صورة البابا وصورة العذراء مريم . . . والشباب الأمريكي الذي وجد الحرية ولم يجد القيم مشى هو الآخر في مسيرات يطالب بالعودة إلى الشرائع الإخية .

وفي العالم الثالث ظهر شباب من كل ألوان الطيف بين أقصى اليسار

وأقصى اليمين اجتمع كل بضعة ألوف منهم حول مرشد أو زعيم أو قائد يلتمسون الحل بثورة أو انقلاب عسكري أو حركات تحت الأرض وفوق الأرض بين محدوعين أو مأجورين أو مرتزقة أو شباب مثالي متهور .

والانقلابات في الدول الأفريقية وفي دول أمريكا اللاتينية . . . وفي العالم العربي . . . هي خير مثال . . . وهي انقلابات لا تجرى بمعزل عن قطبي المجال المغناطيسي الأمريكي والروسي ، فهي أحيانا تجرى باتفاقها . . . وأحيانا بفعل الغزو الفكري لكل منهما وأحيانا بتأمر طرف من وراء طرف وأحيانا كالنبت الشيطاني من تلقاء ذاتها . . . وفي إيران ترفع الثورة علما إسلاميا . . . ولا يعلم إلا الله ماذا يجرى تحت .

ونحن في مصر لا نعيش بعيدا عن هذا كله . . . وإنما نعيش في قلب الدوامة تؤثر فيها وتؤثر فيها فصر ملتقى القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا وملتقى التيارات المتلاطمة بين شرق وغرب . وفي مصر تراث سبعة آلاف عام من التوحيد يعمل هو ذاته كقطب مؤثر مستقل . ولمصر صراعاها الخاص كبلد عربي مع إسرائيل .

وبعد حروب أربعة وبسبب انقسام عربي وخلافات عربية اختارت مصر أن تخطو خطوة سلام .

ولكن ما فعلته إسرائيل في لبنان وما تعلن عنه وما تبشره من عتف  
قد يخفى هذه الخطوة وقد يجعل المضي في السلام مستحيلا  
ولم يسأل العرب أنفسهم وهم في خلافاتهم وانقسامهم . . ماذا  
يكون عليه المستقبل . . وإسرائيل توشك أن تصبح قوة ذرية وحيدة في  
المنطقة . . وإيران قوة أخرى مهيمنة فعالة تعيد تشكيل الخريطة .  
أين نحن من عالم متغير يتشكل بسرعة لا تنتظر خلافاتنا وسليباتنا .  
وفي العالم ثورة علمية إلكترونية تتفقم وتتضاعف بسرعة . . وفي  
سنوات قليلة سوف نجعل هذه الثورة الأغنياء أغنى والأقوياء أقوى  
والمتقدمين أكثر تقدما بما لا يقاس بالنسبة لأمثالنا من دول نامية يلقي  
بها التخلف مئات السنين إلى وراء . . فنصبح كالقروء بالنسبة لاجتماعات  
إنسانية تلهث تقدما . . هذا إذا لم نسارع فنلحق بأسباب هذه الثورة  
الإلكترونية العلمية . . ونحن إلى الآن لم نفعل .  
كل هذه محاذير ونذر لمستقبل وشيك مجهول .  
والصراع بين الثلاثي العملاق أمريكا وروسيا والصين . . هو علامة  
استفهام أخرى سوف تشكل الخريطة في السنوات القليلة القادمة .  
هل نحن مقبلون على عصر ظلماني يصنعه الطواغيت . . أم على  
عصر نوراني يحكمه الراشدون وورثة الأنبياء .  
إن النذر تتراكم في الأفق .

وباطن الأرض يغور . .  
والليالي حبلى ، سوف تلدن كل عجيبة . فأين نحن من كل  
هذا . .  
وأين التماؤنا بين المذاهب والنظم والتيارات . .  
وماذا أعددتنا للغد . .  
وما هو إسهامنا فيما يجري .  
إن القليل من زاد العلم الذي نحصل عليه في مدارسنا وجامعاتنا  
لا يكفي .  
وهجرة الشباب لفسيل الأطباق وبيع الصحف في أوروبا ليس  
حلا وانتماء شباب الشارع إلى الزمالك أو الأهل نكتة سخيفة نافهة أن  
دلت على شيء فعل الغيبة التي نعيش فيها وسط هذا البركان الفوار  
من الأحداث .  
وانفجارات الشباب الحماسية وجريها خلف أي حامل راية دون  
أعمال فكر ودون تدبير . . هو مرافقة سياسية .  
واسترخاؤها على المقاهي وتناؤها أمام شاشات التلفزيون وانفاقها  
الساعات في نوادي الكاسيت والفيديو انتحار بطيء من نوع آخر .  
والكثرة التي تتعاطى حشيش الحب تحاول أن تأخذ أجازة بأسلوب  
آخر مسلي .



والعالم يتغير . . . والتاريخ يتحرك بالخطوة السريعة ولا ينتظر  
 المتسكعين على النواصي . . . وإن لم يشترك الشباب في صنع الحياة فهناك  
 آخرون سوف يرغمونه على الحياة التي يصنعونها .  
 هل يحاول شبابنا أن يعيش عصره . . . هذا العصر الذي يحتاج منه  
 إلى احتشاد كامل علميا وعملا وفكرا ودينا وخلقا . . . وأن يغذى عقله  
 بكل ما يجد من حقائق كما يغذى الميكرو كومبيوتر قبل أن يضغط على  
 زراره ليسأله الخطوة والمنهج والطريق .  
 إن العبء كبير والمسئولية كبيرة ولكن لا مفر من حملها فالتحديات  
 لا تنتظر والتبعات ثقيلة .  
 وعدت ببصرى إلى شاطئ العريش وإلى البحر الممتد أمامى إلى  
 ما لا نهاية وإلى مستوطنات إسرائيل التي دمرتها قبل إخلائها . وإلى  
 يسارى حيث البر العربى يمتد إلى الأطلسي .  
 هل فكر الشباب العربى كيف جاء هؤلاء اليهود شراذم من كل  
 الدول . . . جاؤا إلى هنا ليقيموا المستوطنات ويزرعوا الصحراء بالورد  
 والتمر البندقية في يد والفأس في اليد الأخرى .  
 هؤلاء اليهود الذين زرعوا الفخ وروجوا المخدرات ونشروا بين  
 فلسفات الفوضى . . . جاءوا يقاتلون ويعملون ويزرعون ويبنون يعقل  
 أوروبى ويامكانيات أوربية .

هل تواجههم على نفس المستوى علما بعلم . وحصارة بحضارة .  
 ودهاء بدهاء . وعملا بعمل . وقتالا بقتال . . . أم سوف نخشى  
 تواجههم بالشعارات والخطب والخلافات التي تنتهى لتبدأ ثم تعود  
 فتنتهى لتبدأ .  
 وهل أدرك الجانب الفلسطينى أن عليه أن يتوحد فيما بين نفسه قبل  
 أن يسأل الأمة العربية أن تتوحد . . . وأن تجتمع منظماته على راية واحدة  
 ومثل واحد ورأى واحد وطرف واحد تعطيه التمثيل والشرعية .  
 وهل أدرك المتنادون بالوحدة العربية بين الدول العربية أن الوحدة  
 أصبحت أحيانا مفقودة حتى في الفرد العربى الواحد الذى تمزق على  
 نفسه . . . وأن الفرد العربى مطالب أولا بأن يجمع أشتات نفسه ويتوحد  
 مع نفسه وفكره .  
 والمتنادون بالحرب مع إسرائيل من دول الصمود والتصدى . هل  
 يعلمون أنه لا توجد دولة عربية واحدة تنتج طعامها أو تنتج سلاحها .  
 وأن العرب يعيشون على لقمة مستوردة وسلاح مستورد . . . والذى  
 يعطى القمح والمدفع والطائرة هو الذى صنع إسرائيل وأقامها وأيدها  
 واعترف بها .  
 وهل يعلمون أن حوالى النصف من تعداد كل دولة عربية  
 لا يعمل .



وهل يعلمون أنه لا وسيلة إلى قرار حر إلا باقتصاد حر . . . وإتنا  
لا يمكن أن نحارب عملا وإنتاجا إلا بعمل وإنتاج . . .  
والمنادون بالإسلام كحل . . . بأي فهم ففهموا الإسلام . . .  
إن أكثر من رفعوا راية الإسلام كانوا يخفون تحت هذه الراية ما  
لا يمت بصلة إلى الإسلام بأي سبب من أطماع وأحقاد وأهواء وأغراض  
شخصية . . .  
والمنادون بالإسلام تفرقوا شيئا وطعن كل واحد في إسلام الآخر  
وكفر بعضهم بعضا وشهروا السلاح الذي استوردوه من أمريكا وروسيا  
ليحاربوا به بعضهم بعضا . . .  
وبعضهم غرقوا في الجدل حول الشكليات والمظهريات وتنازعوا  
حول اللحية والسواك والشمروخ والنقاب وتقصير الثوب وراحوا  
يمضغون القشور ونسوا الجوهر والروح واللباب . . .  
فهل هو كلام جديد أن روح الإسلام ولبه ولبابه هو العلم والعمل  
ومكارم الأخلاق أم أنه كلام قديم جدا أيام كان المسلم ينتج لقمته  
بزرع يده ويصنع سيفه ويربي خيله ويدربها بنفسه . . .  
إذن لم الخلاف والمسألة واضحة أم أن هناك ناسا من مصلحتهم  
التعمية وتشويه الحقائق وإضاعتنا في مشكلات ثانوية ننسى فيها أنفسنا  
وننسى موضوعنا .

وإذا استقر في وجدان الشباب أن الإسلام هو الحل وأنه هو  
الطريق إلى الوحدة وإلى الجهاد السليم . . . فنحن نقول نعم . . . بشرط  
أن يفهم الشباب ما الإسلام وما حقيقته . . . وأن لا يجرى وراء كل  
نافخ بوق من الفرق الكثيرة الضالة التي تحترف الإسلام كلاما وتشويهه  
عملا وسلوكا .  
على كل شاب أن يفتح أذنيه جيدا ويفهم ما يلقى إليه من يمين  
وشمال من زخرف الكلام وألا يكون مثل أطواف الخشب التي يلقى بها  
الموج وبأخذها التيار كل مأخذ .  
إنه . . . لقد جاء الوقت لتفريق . . . فمجلة الأحداث تجري  
بسرعة . . . وعما قريب ندخل في منعطف التاريخ ونختبئ في عنق  
الزحاجة إن لم نحسب لكل يوم حسابه .  
نعم لا حل إلا حل واحد .  
هو العلم والعمل والإنتاج ومكارم الأخلاق التي عودنا عليها  
الإسلام والوحدة خلف رايته واحترام العقل ونهذ التعصب والنظر إلى  
كل شيء في شمول وكلية وتدبر وتفكير . . . وإقامة البنيان الذي انهار من  
أساسه بالاتفاق أولا على هذه اللبانات الأولى الأساسية التي بدونها  
لا يكون مابنيها إسلاما . . . وإنما هלוسة دينية تساعد أعداءنا في القضاء  
علينا أسرع وأسرع .

وقد يطول بذلك المشوار وتزداد التكاليف .  
ولكن لا يوجد حل آخر .  
ونظرت إلى البحر .  
وكان الموج هذه المرة يرتفع عاليا ويتكسر في صوت هادر على  
الرمل .  
وتساءلت في رجفة :  
ترى ماذا يحمل لنا الغيب .  
وماذا تحمل له .

الفقرس

٣	أمريكا . أمريكا
٤١	وأفكار من الشاطئ الآخر
٥٧	هذا الجهاز سوف يغير العالم
٦٩	المسلمون في يوغوسلافيا
٨٥	على شاطئ رودس
٩١	ظاهرة الخمسيني
١٠٣	المشكلة والحل

